الخطب المنبرية

في الأصول الثلاثة

جمع وترتيب
من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

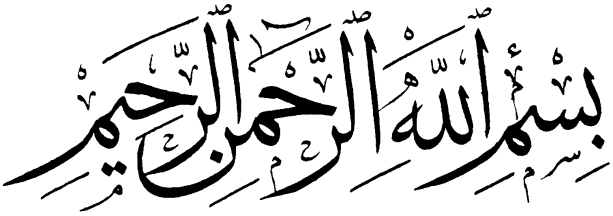
بسم الله الرحمن الرحيم

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

مَسَائِلُ مُهِمَّةٌ فِي التَّوْحِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

أَهَمِّيَّةُ الْعَقِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ وَظِيفَةِ وُجُودِنَا

فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنَا لِنَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْغَايَةِ أَرْسَلَ اللهُ الْمُرْسَلِينَ، وَنَبَّأَ النَّبِيِّينَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ.

عِبَادَ اللهِ! التَّوْحِيدُ أَوَّلُ مَا أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، وَأَوَّلُ أَوَامِرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ تَوَجَّهَ بِهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَوَّلِ أَمْرٍ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ؛ أَوَّلُ أَمْرٍ

فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].(*).

إِنَّنَا فِي الْحَقِيقَةِ إِذَا غَفَلْنَا عَنِ الْهَدَفِ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ فَإِنَّنَا لَنْ نَفْهَمَ حَقِيقَةَ الْوُجُودِ، إِذَا لَمْ نَفْهَمْ حَقِيقَةَ وُجُودِنَا، وَلَمْ نُحَقِّقْ ذَاتَنَا فِي عِبَادَةِ رَبِّنَا؛ فَكَيْفَ نَفْهَمُ حَقِيقَةَ الْوُجُودِ بِسَمَائِهِ وَأَرْضِهِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ؟!!

يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ الْعَقِيدَةَ؛ لِأَنَّنَا لَا يُمْكِنُ أَنْ نُحَقِّقَ وُجُودَنَا وَلَا وَظِيفَتَنَا فِي وُجُودِنَا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ عَقِيدَتِنَا الَّتِي كَلَّفَنَا اللهُ رَبُّنَا بِهَا، وَالَّتِي جَاءَنَا بِهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

أَهَمُّ شَيْءٍ تَحْرِصُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ عَقِيدَتَكَ، أَنْ تَعْرِفَ تَوْحِيدَ رَبِّكَ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ مُؤَسَّسَةٌ عَلَىٰ الِاعْتِقَادِ.

الْمُشْرِكُ الَّذِي يَعْبُدُ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا تُقْبَلُ مِنْهُ عِبَادَةٌ.

الْمُنْفِقُ الْمُتَصَدِّقُ، الزَّاهِدُ، الصَّائِمُ، الْقَائِمُ، الْمُعْتَمِرُ، الْحَاجُّ؛ حَتَّىٰ الْمُجَاهِدُ إِذَا بَنَىٰ ذَلِكَ وَأَسَّسَهُ عَلَىٰ غَيْرِ عَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ، فَكَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الشِّرْكِ؛ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ الْعَمَلُ.

هَلْ تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ؟!

كَذَلِكَ لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ وَلَا عِبَادَةٌ بِغَيْرِ تَوْحِيدٍ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «أَهَمِّيَّةُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٠هـ| ٢٢-٨-٢٠٠٩م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «أَهَمِّيَّةُ الْعَقِيدَةِ» - الْأَحَدُ ٧ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢هـ| ٧-٨-٢٠١١م.

أَهَمِّيَّةُ تَعَلُّمِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

ثَلَاثَةُ أُصُولٍ عَظِيمَةٍ وَأُسُسٍ مَتِينَةٍ عَلَيْهَا مَدَارُ دِينِ اللهِ، وَعَلَيْهَا مُرْتَكَزُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ عِلْمًا وَعَمَلًا؛ أَلَا وَهِيَ: الرِّضَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، وَهَذِهِ الْأُصُولُ الْعَظِيمَةُ لَا يُنَالُ طَعْمُ الْإِيمَانِ وَلَا يُظْفَرُ بِلَذَّتِهِ وَحَلَاوَتِهِ إِلَّا بِتَحْقِيقِهَا؛ «فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّقَ ذَوْقَ طَعْمِ الْإِيمَانِ بِمَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَلَمْ يُعَلِّقْهُ بِمَنْ رَضِيَ عَنْهُ، كَمَا قَالَ ﷺ «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا**»[(١)].

فَجَعَلَ الرِّضَا بِهِ قَرِينَ الرِّضَا بِدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ أُصُولُ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا يَقُومُ إِلَّا بِهَا وَعَلَيْهَا.

وَأَيْضًا: فَالرِّضَا بِهِ رَبًّا يَتَضَمَّنُ تَوْحِيدَهُ وَعِبَادَتَهُ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وَخَوْفَهُ وَرَجَاءَهُ، وَمَحَبَّتَهُ، وَالصَّبْرَ لَهُ وَبِهِ.

وَالشُّكْرُ عَلَىٰ نِعَمِهِ يَتَضَمَّنُ رُؤْيَةَ كُلِّ مَا مِنْهُ نِعْمَةً وَإِحْسَانًا؛ وَإِنْ سَاءَ عَبْدُهُ.

فَالرِّضَا بِهِ يَتَضَمَّنُ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالرِّضَا بِمُحَمَّدٍ رَسُولًا يَتَضَمَّنُ شَهَادَةَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَالرِّضَا بِالْإِسْلَامِ دِينًا يَتَضَمَّنُ الْتِزَامَ عُبُودِيَّتِهِ، وَطَاعَتَهُ، وَطَاعَةَ رَسُولِهِ؛ فَجَمَعَتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ الدِّينَ كُلَّهُ»[(٢)]. (*).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣٤) مِنْ حَدِيثِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه.

(٢) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (٢/ ١٨٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «خُلَاصَةُ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (الْمُحَاضَرَة ٢٨: مَنْزِلَةُ الرِّضَا»، الْأَحَدُ ١٩ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٤١هـ| ١٢-٤-٢٠٢٠م.

وَالرِّضَا بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ مُوجِبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا؛ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**»(١).

«**رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا**»: خَالِقًا، وَرَازِقًا، وَإِلَهًا، وَرَضِيتُ شَرْعَهُ وَدِينَهُ، وَرَضِيتُ قَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ.

«**وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا**»: هُوَ مِلَّةُ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَفِيهِ التَّبَرِّي عَنْ نَحْوِ الْيَهُودِيَّةِ، وَالنَّصْرَانِيَّةِ، وَكُلِّ دِينٍ يُخَالِفُهُ.

«**وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا**» أَيْ: رَضِيتُهُ نَبِيًّا رَسُولًا، وَرَضِيتُ سُنَّتَهُ وَهَدْيَهُ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ أَتَمَّ تَبْلِيغٍ، وَأَدَّىٰ الْأَمَانَةَ أَكْمَلَ أَدَاءٍ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ فَكَانَ خَيْرَ النَّاصِحِينَ.(*).

وَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ هِيَ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا الْإِنْسَانُ فِي قَبْرِهِ، فَإِذَا دُفِنَ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ؛ «**أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَسَأَلَاهُ مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، وَأَمَّا الْمُرْتَابُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ هَاه هَاه لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**»(٣). (*/٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٨٨٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ» (الْمُحَاضَرَة ١١: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا»، الْخَمِيسُ ٢٠ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٤٣هـ| ٢٥-١١-٢٠٢١م.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْجَنَائِزِ، ٦٧، رَقْمُ ١٣٣٨)، وَفِيهِ أَيْضًا (٨٦: ٦، رَقْمُ ١٣٧٤)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (صِفَةِ الْجَنَّةِ، ١٧: ٦، رَقْمُ ٢٨٧٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ ثَلَاثَةِ أُصُولٍ وَأَدِلَّتُهَا» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٦ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٨هـ| ٢١-٦-٢٠١٧م.

مَسَائِلُ أَرْبَعٌ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ تَعَلُّمُهُنَّ

عِبَادَ اللهِ! اعْلَمُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- **أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ**، هَذِهِ الْمَسَائِلُ يَجِبُ وُجُوبًا عَيْنِيًّا -وَهُوَ: مَا يَجِبُ أَدَاؤُهُ عَلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ بِعَيْنِهِ- أَنْ يَتَعَلَّمَهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ؛ صِغَارًا وَكِبَارًا.

الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

«**مَعْرِفَةُ اللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»: بِالْإِيمَانِ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِيمَانًا جَازِمًا؛ الْإِيمَانُ بِوُجُودِهِ، وَالْإِيمَانُ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَالْإِيمَانُ بِأُلُوهِيَّتِهِ، وَالْإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا إِيمَانًا يَسْتَلْزِمُ الْقَبُولَ لِمَا شَرَعَ مَعَ الِانْقِيَادِ لَهُ، وَالْإِذْعَانِ لَهُ، وَتَحْكِيمِ شَرِيعَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا نَبِيُّهُ ﷺ.

هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ يَتَحَصَّلُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ بِالنَّظَرِ فِي آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمَسْطُورَةِ، وَفِي آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمَنْظُورَةِ؛ فِي الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَفِي الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ، كَمَا بَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ.

«**وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ** ﷺ» أَيْ: مَعْرِفَةُ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ قَبُولَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ، وَتَصْدِيقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَامْتِثَالَ أَمْرِهِ فِيمَا أَمَرَ، وَاجْتِنَابَ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَمَا عَنْهُ زَجَرَ، وَتَحْكِيمَ شَرِيعَتِهِ، وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾**﴾ [النساء: ٦٥].

«**وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ**» الْإِسْلَامُ: هُوَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ، وَهَذَا هُوَ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ إِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُوَ الدِّينُ الْكَامِلُ الَّذِي أَكْمَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَرَضِيَهُ لَهَا، وَلَا يَقْبَلُ دِينًا سِوَاهُ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَالَ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

«وَلَابُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ إِجْمَاعٍ»(١).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ: فَالْعَمَلُ بِالْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ يُطْلَبُ لِلْعَمَلِ، لَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ إِلَّا لِلْعَمَلِ.

وَقَدْ وَرَدَتِ النُّصُوصُ فِي الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِمَنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ ضَافِيَةٌ.

وَقَدْ قَالَ الْفُضَيْلُ رَحِمَهُ اللهُ: «لَا يَزَالُ الْعَالِمُ جَاهِلًا حَتَّىٰ يَعْمَلَ بِعِلْمِهِ، فَإِذَا عَمِلَ بِعِلْمِهِ صَارَ عَالِمًا»(٢).

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ بِشَرْحِ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» (ص ١٥ - ١٦، مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ - الرِّيَاضُ).

(٢) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «اقْتِضَاءِ الْعِلْمِ الْعَمَلَ» (ص ٣٧، رَقْمُ ٣٤، ت الْأَلْبَانِيِّ)، وَمِنْ طَرِيقِهِ: ابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٤٨/ ٤٢٧، تَرْجَمَةُ ٥٦٣٠)، مِنْ طَرِيقِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَحْرِزِيِّ، قَالَ: قَالَ أَيُّوبُ بْنُ يَحْيَىٰ: قَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «**لَا يَزَالُ الْعَالِمُ جَاهِلًا بِمَا عَلِمَ حَتَّىٰ يَعْمَلَ بِهِ، فَإِذَا عَمِلَ بِهِ كَانَ عَالِمًا**».
=

«**الْعَمَلُ بِهِ**» أَيِ: الْعَمَلُ بِمَا تَقْتَضِيهِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ؛ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ؛ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْخَاصَّةِ، وَالْعِبَادَاتِ الْمُتَعَدِّيَةِ؛ فَالْعِبَادَاتُ الْخَاصَّةُ مِثْلَ الصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْعِبَادَاتُ الْمُتَعَدِّيَةُ؛ كَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالْعَمَلُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ، فَمَنْ عَمِلَ بِلَا عِلْمٍ فَقَدْ شَابَهَ النَّصَارَىٰ، وَمَنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ فَقَدْ شَابَهَ الْيَهُودَ.

فَعَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي أَنْتَ مَأْمُورٌ بِهَا، وَأَنْ تَتْرُكَ الْمَعَاصِيَ الَّتِي أَنْتَ مَنْهِيٌّ عَنْهَا.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: «الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ» أَيِ: الدَّعْوَةُ إِلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ شَرِيعَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وَلَا بُدَّ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ مِنْ عِلْمٍ بِشَرِيعَةِ اللهِ ﷻ؛ حَتَّىٰ تَكُونَ الدَّعْوَةُ عَنْ عِلْمٍ وَإِلَىٰ عِلْمٍ وَعَلَىٰ بَصِيرَةٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

=

وَالْمَحْرِزِيُّ: مُحَدِّثٌ مَسْتُورٌ، «تَبْصِيرُ الْمُنْتَبِهِ بِتَحْرِيرِ الْمُشْتَبِهِ» لِابْنِ حَجَرٍ (٤/ ١٣٤٣، الْمَكْتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ، بَيْرُوتُ)، وَأَيُّوبُ بْنُ يَحْيَىٰ: لَا يُعْرَفُ.

وَالْبَصِيرَةُ فَوْقَ الْعِلْمِ، وَتَكُونُ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ: بِأَنْ يَكُونَ الدَّاعِيَةُ عَالِمًا بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، وَبِكَيْفِيَّةِ الدَّعْوَةِ، وَبِحَالِ الْمَدْعُوِّ.

وَمَجَالَاتُ الدَّعْوَةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، مِنْهَا: الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْخَطَابَةِ، وَبِإِلْقَاءِ الْمُحَاضَرَاتِ، وَبِالْمَقَالَاتِ، وَبِحَلْقَاتِ الْعِلْمِ، وَبِالتَّأْلِيفِ وَنَشْرِ الدِّينِ عَنْ طَرِيقِ التَّصْنِيفِ.

وَعَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَسَبَ طَاقَتِهِ، وَعَلَىٰ قَدْرِ عِلْمِهِ؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ عَلَيْهِ قِسْطٌ مِنْ هَذَا الْوَاجِبِ مِنْ تَبْلِيغِ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَالدَّعْوَةِ وَالْإِرْشَادِ إِلَيْهِ، وَالنَّصِيحَةِ فِيهِ؛ فَيَدْعُو إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَإِلَىٰ الصَّلَاةِ، وَإِلَىٰ الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ، وَإِلَىٰ الزَّكَاةِ، وَإِلَىٰ أَدَائِهَا، وَإِلَىٰ صَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَعَ الِاسْتِطَاعَةِ، وَإِلَىٰ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَتَرْكِ الْمَعَاصِي كُلِّهَا.

وَالدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ وَظِيفَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَطَرِيقَةُ مَنِ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَإِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ مَعْبُودَهُ، وَنَبِيَّهُ، وَدِينَهُ، وَمَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِالتَّوْفِيقِ لِذَلِكَ؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ السَّعْيَ فِي إِنْقَاذِ إِخْوَانِهِ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلْيُبْشِرْ بِالْخَيْرِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ؛ فَوَاللهِ! لَأَنْ يُهْدَىٰ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**». مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ[1].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْجِهَادِ، ١٠٢: ٢، رَقْمُ ٢٩٤٢) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، ٤: ٧، رَقْمُ ٢٤٠٦)، مِنْ حَدِيثِ: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

«**حُمْرُ النَّعَمِ**»: هِيَ الْإِبِلُ الْحُمْرُ، وَهِيَ أَنْفَسُ مَا كَانَ يَقْتَنِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْأَمْوَالِ.

وَقَالَ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ -أَيْضًا-(١): «**مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**».

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ: وَذَلِكَ يَشْمَلُ كُلَّ دَاعٍ إِلَىٰ حَقٍّ وَخَيْرٍ، وَيَشْمَلُ كُلَّ دَاعٍ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ آمِرٍ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَاهٍ عَنْ مُنْكَرٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤْذَىٰ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُحَارَبَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُعَادَىٰ؛ وَهِيَ طَرِيقُ الْأَنْبِيَاءِ وَسَبِيلُ الْمُرْسَلِينَ.

الصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَحَبْسُهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَحَبْسُهَا عَنِ التَّسَخُّطِ عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ(٢)؛ فَيَحْبِسُ النَّفْسَ عَنِ التَّسَخُّطِ وَالتَّضَجُّرِ وَالْمَلَلِ، وَيَكُونُ دَائِمًا نَشِيطًا فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ دِينِ اللهِ وَإِنْ أُوذِيَ وَعُودِيَ؛ لِأَنَّ أَذِيَّةَ الدَّاعِينَ إِلَىٰ الْخَيْرِ مِنْ طَبِيعَةِ الْبَشَرِ إِلَّا مَنْ هَدَىٰ اللهُ.

قَالَ -تَعَالَىٰ- لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا**﴾ [الأنعام: ٣٤].

وَكُلَّمَا قَوِيَتِ الْأَذِيَّةُ قَرُبَ النَّصْرُ؛ فَعَلَىٰ الدَّاعِيَةِ أَنْ يَكُونَ صَابِرًا عَلَىٰ دَعْوَتِهِ، مُسْتَمِرًّا فِيهَا، صَابِرًا عَلَىٰ مَا يَعْتَرِضُهُ هُوَ مِنَ الْأَذَىٰ.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْإِمَارَةِ، ٣٨: ١، رَقْمُ ١٨٩٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه.

(٢) حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ التَّسَخُّطِ عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ الْمُؤْلِمَةِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْأَرْبَعِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

«الدِّينُ كُلُّهُ: إِيمَانٌ، وَعَمَلٌ، وَدَعْوَةٌ، وَصَبْرٌ؛ إِيمَانٌ بِالْحَقِّ، وَعَمَلٌ بِالْحَقِّ، وَدَعْوَةٌ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَصَبْرٌ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِي الْحَقِّ؛ فَهَذَا هُوَ الدِّينُ»(١)، قَدْ جَمَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَنَا ذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ.

«**الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ وَالثَّانِيَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ لَا يَكُونُ صَحِيحًا، وَالْعَمَلَ لَا يَكُونُ صَالِحًا إِلَّا بِالْعِلْمِ بِأَنْ يُعْبَدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ.

وَالْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

وَالْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾».

فَجَمَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَنَا هَذَا الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

أَقْسَمَ اللهُ ﷻ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالْعَصْرِ الَّذِي هُوَ الزَّمَنُ، وَهُوَ: مَحَلُّ الْحَوَادِثِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ عَلَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ كُلَّ الْإِنْسَانِ فِي هَلَكَةٍ وَخُسْرَانٍ إِلَّا مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ: الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ.

---

(١) «شَرْحُ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» لِابْنِ بَازٍ (ص ٢٥).

لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَمَّا خَلْقُهُ فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُقْسِمُوا إِلَّا بِهِ، وَ«**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»(١).

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الْأَيْمَانِ، ٥: ٤، رَقْمُ ٣٢٥١)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الْأَيْمَانِ، ٨: ٣، رَقْمُ ١٥٣٥)، وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢/ ١٢٥، رَقْمُ ٦٠٧٢)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْكُبْرَىٰ» (رَقْمُ ١٩٨٢٩)، مِنْ طَرِيقِ: الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ، رَجُلًا يَحْلِفُ: لَا وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**».
قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: «وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَسْمَعْهُ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدَةَ مِنَ ابْنِ عُمَرَ»، بَيْنَهُمَا الْكِنْدِيُّ، وَهُوَ: مَجْهُولٌ؛ فَقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢/ ٦٩، رَقْمُ ٥٣٧٥)، وَمَوَاضِعَ، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «الْمُشْكِلِ» (٢/ رَقْمُ ٨٣٠، ٨٣١)، مِنْ طُرُقٍ: عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ، فَجِئْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، وَتَرَكْتُ عِنْدَهُ رَجُلًا مِنْ كِنْدَةَ، فَجَاءَ الْكِنْدِيُّ مُرَوَّعًا، فَقُلْتُ: مَا وَرَاءَكَ؟، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ ابْنِ عُمَرَ آنِفًا فَقَالَ: أَحْلِفُ بِالْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «**احْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ**»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْلِفْ بِأَبِيكَ، فَإِنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ**».
قَالَ الطَّحَاوِيُّ: «فَوَقَفْنَا عَلَىٰ أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ قَدْ زَادَ فِي إِسْنَادِ هَذَا عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ رَجُلًا مَجْهُولًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عُمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَفَسَدَ بِذَلِكَ إِسْنَادُهُ».
وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (رَقْمُ ٢٥٦١): «وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِنْ سَلِمَ مِنَ الِانْقِطَاعِ».
وَالْحَدِيثُ أَصْلُهُ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الشَّهَادَاتِ، ٢٦: ٢، رَقْمُ ٢٦٧٩) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْأَيْمَانِ، ١، رَقْمُ ١٦٤٦)، مِنْ طُرُقٍ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، بِلَفْظِ: «**أَلَا إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**».
(٢) انْظُرْ: «التَّارِيخَ الْكَبِيرَ» (١/ رَقْمُ ٧٣)، وَ«الْكُنَىٰ وَالْأَسْمَاءَ» (رَقْمُ ١٩٧٣)، وَ«الْجَرْحَ

لَكَفَتْهُمْ»؛ لِأَنَّ الْعَاقِلَ الْبَصِيرَ إِذَا سَمِعَ هَذِهِ السُّورَةَ أَوْ قَرَأَهَا؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْعَىٰ إِلَىٰ تَخْلِيصِ نَفْسِهِ مِنَ الْخُسْرَانِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ مِمَّنِ اسْتَثْنَاهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيَجْتَهِدُ فِي أَنْ يَكُونَ مُتَحَلِّيًا بِالصِّفَاتِ الَّتِي مَنِ اتَّصَفَ بِهَا نَجَا مِنَ الْخُسْرَانِ وَهِيَ: الْإِيمَانُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ.

فَمُرَادُهُ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ كَافِيَةٌ لِلْخَلْقِ فِي الْحَثِّ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِدِينِ اللهِ؛ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَيْسَ مُرَادُهُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ كَافِيَةٌ لِلْخَلْقِ فِي جَمِيعِ الشَّرِيعَةِ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(١): «بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ».

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [سورة محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَاسْتَدَلَّ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ وُجُوبِ الْبُدَاءَةِ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

هَذِهِ الْمَسَائِلُ تَشْمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ، فَهِيَ جَدِيرَةٌ بِالْعِنَايَةِ؛ لِعِظَمِ نَفْعِهَا.

=

وَالتَّعْدِيلَ» (٧/ رَقْمُ ١١٣٠)، وَ«الثِّقَاتِ» لِابْنِ حِبَّانَ (٩/ رَقْمُ ١٥٠١٦)، وَ«الِانْتِقَاءَ فِي فَضَائِلِ الثَّلَاثَةِ الْأَئِمَّةِ الْفُقَهَاءِ» لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ (ص ٦٥ - ١١٥، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ)، وَ«تَارِيخَ بَغْدَادَ» (٢/ رَقْمُ ٤٠٤، ت بَشَّارٍ)، وَ«تَارِيخَ دِمَشْقَ» (٥١/ رَقْمُ ٦٠٧١)، وَ«تَهْذِيبَ الْكَمَالِ» (رَقْمُ ٥٠٤٩)، وَ«السِّيَرَ» (١٠/ تَرْجَمَةٌ ١، ط الرِّسَالَةِ).

(١) فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْعِلْمِ، ١٠)، وَقَالَ: «لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ».

مَسَائِلُ ثَلَاثٌ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ تَعَلُّمُهُنَّ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! اعْلَمُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ.

الْأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

فَاللهُ هُوَ الْخَلَّاقُ، وَهُوَ الرَّزَّاقُ، وَهُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؛ فَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.

هَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥﴾ [الطور: ٣٥].

فَالْإِنْسَانُ لَمْ يَخْلُقْ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ قَبْلَ وُجُودِهِ عَدَمٌ، وَالْعَدَمُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَمَا لَيْسَ بِشَيْءٍ لَا يُوجِدُ شَيْئًا، وَلَمْ يَخْلُقْهُ أَبُوهُ وَلَا أُمُّهُ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَأْتِيَ صُدْفَةً بِدُونِ مُوجِدٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ؛ فَتَعَيَّنَ بِهَذَا أَنْ يَكُونَ الْخَالِقَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، فَلَا خَالِقَ وَلَا آمِرَ إِلَّا اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَاللهُ ﷻ رَزَقَنَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، **وَقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [سبأ: ٢٤].

وَقَالَ ﷺ فِي الْجَنِينِ: «**يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ**»(١).

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛ وَالْهَمَلُ: الْمَتْرُوكُ الَّذِي لَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وَاللهُ ﷻ أَرْسَلَ إِلَيْنَا -مَعْشَرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ- رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْنَا آيَاتِ رَبِّنَا، وَيُزَكِّينَا، وَيُعَلِّمُنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، كَمَا أَرْسَلَ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَنَا رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، قَالَ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤]، وَلَا بُدَّ أَنْ يُرْسَلَ إِلَىٰ الْخَلْقِ؛ لِتَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَلِيَعْبُدُوا اللهَ بِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالْغَايَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ: طَاعَةُ الرُّسُلِ، وَاتِّبَاعُ الرُّسُلِ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء: ٦٤].

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ: فَهِدَايَةُ الْبَشَرِ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَبَيَانِ عِبَادَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ النَّحْوِ الْمَرْضِيِّ عِنْدَهُ جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْقَدَرِ، ١: ١، رَقْمُ ٦٥٩٤) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْقَدَرِ، ١: ١، رَقْمُ ٢٦٤٣)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، وَيُعْرَفُ بِحَدِيثِ: «**الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ**».

فَمَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ ﷺ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥-١٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١].

وَقَالَ ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**» أَيِ: امْتَنَعَ وَرَفَضَ.

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَنْ يَأْبَىٰ؟!».

قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

هَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ مِنَ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا، وَأَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَهِيَ: «**أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ**».

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ؛ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

اللهُ ﷻ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ، بَلْ هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، فَنَهَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَنْ يَدْعُوَ الْإِنْسَانُ مَعَ اللهِ أَحَدًا، وَالشِّرْكُ أَمْرُهُ خَطِيرٌ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الِاعْتِصَامِ، ٢: ٥، رَقْمُ ٧٢٨٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**»(١).

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ؛ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

لَا يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا؛ أَنْ يَكُونَ مُوَالِيًا لِأَعْدَاءِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَمُوَالِيًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

لَا بُدَّ لِكُلِّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ أَنْ يُعَادِيَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ؛ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَلَا يُوَالِيهِ بِحَالٍ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْنَا عِلْمُهُ: الْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ، وَالْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ أَصْلٌ عَظِيمٌ جَاءَتْ فِيهِ النُّصُوصُ الْكَثِيرَةُ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا**﴾ [آل عمران: ١١٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

وَلِأَنَّ مُوَالَاةَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَمُدَارَاتَهُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مَا فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْإِيمَانِ

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٤٠: ٣، رَقْمُ ٩٣)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرٍ رضي الله عنه.

بِاللهِ وَرَسُولِهِ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ أَنْ يُحِبَّ الْإِنْسَانُ شَيْئًا هُوَ عَدُوٌّ لِمَحْبُوبِهِ.

وَمُوَالَاةُ الْكُفَّارِ تَكُونُ بِمُنَاصَرَتِهِمْ وَمُعَاوَنَتِهِمْ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، وَمُوَادَّتُهُمْ تَكُونُ بِفِعْلِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا مَوَدَّتُهُمْ، فَتَجِدُهُ يُوَادُّهُمْ، أَيْ: يَطْلُبُ وُدَّهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَهَذَا -لَا شَكَّ- يُنَافِي الْإِيمَانَ كُلَّهُ أَوْ كَمَالَهُ.

فَالْوَاجِبُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ مُعَادَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ إِلَيْهِ، وَبُغْضُهُ، وَالْبُعْدُ عَنْهُ؛ وَلَكِنَّ هَذَا لَا يَمْنَعُ نَصِيحَتَهُ وَدَعْوَتَهُ لِلْحَقِّ.

وَمُوَالَاةُ الْكُفَّارِ لَهَا مَظَاهِرُ مُتَعَدِّدَةٌ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَزْمَانِ، مِنْهَا:

-الرِّضَا بِكُفْرِ الْكَافِرِينَ، وَعَدَمُ تَكْفِيرِهِمْ، أَوِ الشَّكُّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ بِتَصْحِيحِ أَيِّ مَذْهَبٍ مِنْ مَذَاهِبِ الْكُفْرِ؛ فَهَذِهِ مُوَالَاةٌ لِلْكُفَّارِ.

-وَمِنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ -أَيْضًا-: التَّشَبُّهُ بِهِمْ فِي عَادَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمْ، فَهَذَا مِنْ مُوَالَاتِهِمْ، وَمِنْ مُوَالَاتِهِمْ -أَيْضًا-: مُعَاوَنَتُهُمْ وَنُصْرَتُهُمْ، وَمُشَارَكَتُهُمْ فِي أَعْيَادِهِمْ، وَالتَّسَمِّي بِأَسْمَائِهِمْ، وَالسَّفَرُ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، بَلْ لِلنُّزْهَةِ وَالْمُتْعَةِ، لَا لِضَرُورَةٍ.

وَمُجَامَلَتُهُمْ وَمُدَاهَنَتُهُمْ فِي دِينِ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

فَكُلُّ هَذِهِ مِنْ صُوَرِ الْمُوَالَاةِ، وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ[1].

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

❀❀❀

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٣٧ - ٤١).

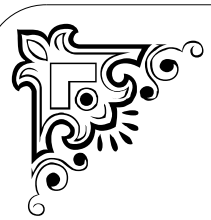

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-

فَإِنَّ الْحَنِيفِيَّةَ هِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: وَهِيَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

الْحَنِيفِيَّةُ: هِيَ الْمِلَّةُ الْمَائِلَةُ عَنِ الشِّرْكِ، الْمَبْنِيَّةُ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ ﷻ.

وَ«**الْحَنِيفُ:** هُوَ الَّذِي أَقْبَلَ عَلَى اللهِ، وَأَعْرَضَ عَمَّا سِوَاهُ، وَأَخْلَصَ لَهُ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ»(١).

الْحَنِيفِيَّةُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

وَالْعِبَادَةُ بِمَفْهُومِهَا الْعَامِّ هِيَ: التَّذَلُّلُ لِلَّهِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا؛ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ

---

(١) «شَرْحُ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» لِابْنِ بَازٍ (ص ٣٦).

وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ شَرَائِعُهُ.

أَمَّا الْمَفْهُومُ الْخَاصُّ لِلْعِبَادَةِ؛ فَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «الْعِبَادَةُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ».

أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، الْإِخْلَاصُ: أَنْ يَقْصِدَ الْمَرْءُ بِعِبَادَتِهِ وَجْهَ اللهِ ﷻ، وَالْوُصُولَ إِلَىٰ دَارِ كَرَامَتِهِ، بِحَيْثُ لَا يَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرَهُ؛ لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣]، **وَقَالَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-**: ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ**﴾ [البقرة: ١٣٠].

وَبِالْحَنِيفِيَّةِ -وَهِيَ: إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ بِالتَّوْحِيدِ- أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وَمَعْنَىٰ (لِيَعْبُدُونِ): لِيُوَحِّدُونِي، «يُفْرِدُونَنِي بِالْعِبَادَةِ»(٢).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ قَالَ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ** ﷻ -وَفِي رِوَايَةٍ(٣): **أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**-،

---

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ - الْعُبُودِيَّةُ» (١٠/ ١٤٩).

(٢) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٤٤ - ٤٥).

(٣) أَخْرَجَهَا الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (التَّوْحِيدِ، ١: ٢، رَقْمُ ٧٣٧٢)، مِنْ حَدِيثِ:
=

فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ...»(١).

أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ

أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، أَيْ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، لَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا؛ لَا نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَلَا مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا رَئِيسًا، وَلَا مَلِكًا، وَلَا أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ، بَلْ تُفْرِدُهُ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا، وَرَغْبَةً وَرَهْبَةً، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي بُعِثَتِ الرُّسُلُ لِتَحْقِيقِهِ.

وَأَنْوَاعُ التَّوْحِيدِ ثَلَاثَةٌ:

الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ: «إِفْرَادُ اللهِ ﷻ بِالْخَلْقِ، وَالْمُلْكِ، وَالتَّدْبِيرِ».

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢].

الثَّانِي: تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ: «إِفْرَادُ اللهِ ﷻ بِالْعِبَادَةِ».

الثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ: «إِفْرَادُ اللهِ ﷻ بِمَا سَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ»؛ وَذَلِكَ بِإِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ، وَنَفْيِ مَا نَفَاهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

=

ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الزَّكَاةِ، ٤١، رَقْمُ ١٤٥٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْإِيمَانِ، ٧: ٣، رَقْمُ ١٩)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَالتَّوْحِيدُ الْمُرَادُ هُنَا: «تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ»، وَهُوَ الَّذِي ضَلَّ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَبِإِخْلَالِهِمْ بِهِ اسْتَبَاحَ دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَأَرْضَهُمْ، وَدِيَارَهُمْ، وَسَبَىٰ نِسَاءَهُمْ، وَذُرِّيَّاتِهِمْ، وَأَكْثَرُ مَا يُعَالِجُ الرُّسُلُ أَقْوَامَهُمْ عَلَىٰ هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النحل: ٢٩].

كَانَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَقْوَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ يَصْرِفُونَ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَكَانَتِ الْخُصُومَةُ وَكَانَ مَحَلُّ النِّزَاعِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ.

فَالْعِبَادَةُ لَا تَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ، وَمَنْ أَخَلَّ بِهَذَا التَّوْحِيدِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَإِنْ أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

التَّوْحِيدُ أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ الَّذِي يَنْبَنِي عَلَيْهِ الدِّينُ كُلُّهُ؛ وَلِهَذَا بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ(١)، وَأَمَرَ مَنْ أَرْسَلَهُ لِلدَّعْوَةِ أَنْ يَبْدَأَ بِهِ.

وَكُلُّ دَعْوَةٍ لَا تَنْبَنِي عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ وَلَا تَبْدَأُ بِهِ دَعْوَةٌ فَاشِلَةٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ دَعْوَةً لِلْإِصْلَاحِ بِحَالٍ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا أَبَدًا؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ دَعْوَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ دَعَا قَوْمَهُ أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ.

---

(١) أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٤/ ٦٣، رَقْمُ ١٦٦٠٣) وَمَوَاضِعَ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدُّؤَلِيِّ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلَمَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**».

وَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

أَعْظَمُ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ الشِّرْكُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَعْظَمَ الْحُقُوقِ هُوَ حَقُّ اللهِ ﷻ، فَإِذَا فَرَّطَ فِيهِ الْإِنْسَانُ فَقَدْ فَرَّطَ فِي أَعْظَمِ الْحُقُوقِ؛ هُوَ تَوْحِيدُ اللهِ ﷻ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَعْظَمُ الذَّنْبِ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»(١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٢).

وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ: شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَشِرْكٌ أَصْغَرُ.

فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ، وَهُوَ: كُلُّ شِرْكٍ أَطْلَقَهُ الشَّارِعُ، وَكَانَ مُتَضَمِّنًا لِخُرُوجِ الْإِنْسَانِ عَنْ دِينِهِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، وَهُوَ: كُلُّ عَمَلٍ قَوْلِيٍّ أَوْ فِعْلِيٍّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الشَّرْعُ وَصْفَ الشِّرْكِ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يُخْرِجُ عَنِ الْمِلَّةِ.

وَعَلَى الْإِنْسَانِ الْحَذَرُ مِنَ الشِّرْكِ أَكْبَرِهِ وَأَصْغَرِهِ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ**﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (التَّوْحِيدُ، ٤٠، رَقْمُ ٧٥٢٠) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ (الْإِيمَانُ، ٣٧: ١، رَقْمُ ٨٦)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّفْسِيرِ، ٢: ٢٢، رَقْمُ ٤٤٩٧)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٤٠: ١، رَقْمُ ٩٢)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

وَعَدَمُ الْمَغْفِرَةِ لِلشِّرْكِ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُشْرِكًا فِي حَالِ حَيَاتِهِ فَتَابَ إِلَىٰ اللهِ وَوَحَّدَهُ، وَأَنَابَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبَدَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَغْفِرُ لَهُ ذَلِكَ؛ بَلْ وَيُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَتَحَ بَابَ الْمَغْفِرَةِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ فِي عُمُومِ أَحْوَالِهِمْ إِلَّا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ بُلُوغُ الرُّوحِ الْحُلْقُومَ؛ فَإِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ الْحُلْقُومَ، وَإِذَا غَرْغَرَ الْعَبْدُ فَقَدْ أُغْلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ بِالنِّسْبَةِ لَهُ(١)، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِعُمُومِ الْخَلْقِ فَإِنَّ بَابَ التَّوْبَةِ يُغْلَقُ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا(٢)؛ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُخْلِصِينَ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا الشِّرْكَ وَالنِّفَاقَ وَالسُّمْعَةَ وَالرِّيَاءَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

❀❀❀

(١) أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٣٧)، وَأَحْمَدُ (٦١٦٠)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (٣٥٣٧) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ».

(٢) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ (٢٧٠٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ» مِنَ (الْمُحَاضَرَةِ الْأُولَىٰ) - الْأَرْبِعَاءُ ٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ١٣-٢-٢٠٠٨م، إِلَىٰ (الْمُحَاضَرَةِ الرَّابِعَةِ) - السَّبْتُ ٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ١٦-٢-٢٠٠٨م.

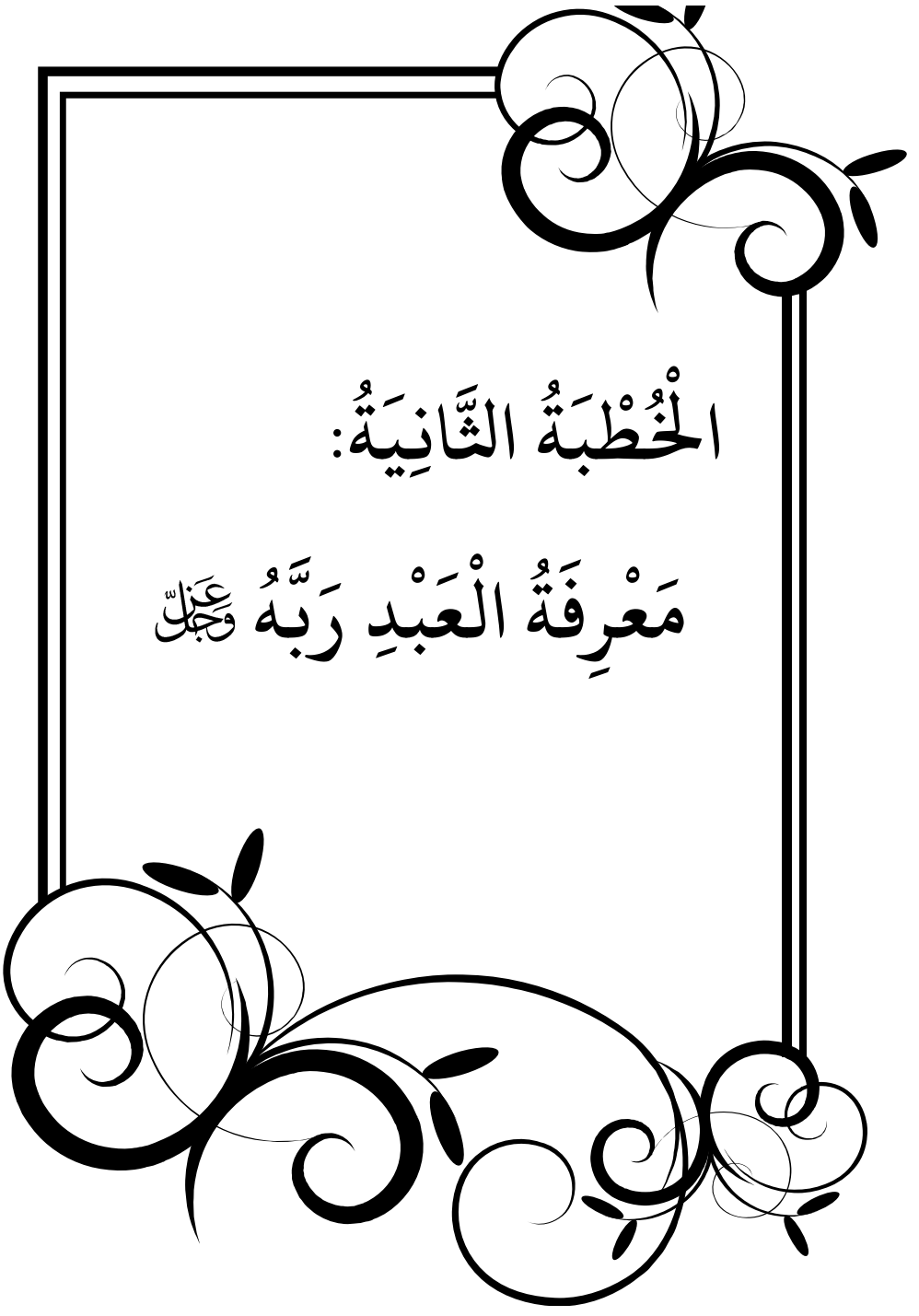

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ﷻ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

اجْتَهِدُوا فِي مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ وَفِي الْعَمَلِ بِهِ

فَوَحِّدُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ-، وَاجْتَهِدُوا فِي مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ، وَفِي تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ، وَفِي الْعَمَلِ بِالتَّوْحِيدِ، وَفِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَفِي سُؤَالِ اللهِ جَلَّوَعَلَا أَنْ يُقِيمَكُمْ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ حَتَّىٰ تَلْقَوْا وَجْهَهُ الْكَرِيمَ.

وَاحْذَرُوا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَىٰ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَىٰ

الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الشِّرْكُ فِي أُمَّتِي أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**»(١). (*).

الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! تَعَلَّمُوا الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا، وَهِيَ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ هِيَ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا الْإِنْسَانُ فِي قَبْرِهِ، فَإِذَا دُفِنَ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ «**أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَسَأَلَاهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، وَأَمَّا الْمُرْتَابُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: هَاه هَاه لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**»(٣).

وَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ تَنْبَنِي عَلَيْهَا جَمِيعُ وَاجِبَاتِ الدِّينِ؛ مِنْ صَلَاةٍ، وَزَكَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَحَجٍّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

---

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٤/ ٤٠٣)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٤/ ١٠)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٣٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «أَهَمِّيَّةُ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ١٤ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٤١هـ| ٨-٢-٢٠٢٠م.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْجَنَائِزِ، ٦٧، رَقْمُ ١٣٣٨)، وَفِيهِ أَيْضًا (٨٦: ٦، رَقْمُ ١٣٧٤)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (صِفَةِ الْجَنَّةِ، ١٧: ٦، رَقْمُ ٢٨٧٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

* «مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ» تَكُونُ بِأَسْبَابٍ:

- مِنْهَا: **النَّظَرُ وَالتَّفَكُّرُ فِي مَخْلُوقَاتِهِ** ﷻ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، وَمَعْرِفَةِ عَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَتَمَامِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

- **وَمِنْ أَسْبَابِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ: النَّظَرُ فِي آيَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ**، وَهِيَ الْوَحْيُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فَيَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا تَقُومُ حَيَاةُ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِهَا، فَإِذَا نَظَرَ الْإِنْسَانُ فِيهَا وَتَأَمَّلَهَا وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَوَجَدَ انْتِظَامَهَا وَمُوَافَقَتَهَا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ؛ عَرَفَ بِذَلِكَ رَبَّهُ ﷻ، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢].

- **وَمِنْهَا: مَا يُلْقِي اللهُ ﷻ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ** ﷻ؛ **حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يَرَىٰ رَبَّهُ رَأْيَ الْعَيْنِ**، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سَأَلَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام: «مَا الْإِحْسَانُ؟»، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

مَعْرِفَةُ الْأَصْلِ الثَّانِي، وَهُوَ: دِينُهُ الَّذِي كَلَّفَ الْعَمَلَ بِهِ، وَالدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ -بِحَمْدِ اللهِ- مُتَضَمِّنٌ لِجَمِيعِ الْمَصَالِحِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا الْأَدْيَانُ السَّابِقَةُ، مُتَمَيِّزٌ عَنْهَا بِكَوْنِهِ صَالِحًا لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأُمَّةٍ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٣٧، رَقْمُ ٥٠)، وَفِي (التَّفْسِيرِ، ٣١: ٢: ١، رَقْمُ ٤٧٧٧)، مُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٢، رَقْمُ ٩، ١٠)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَتَحْصُلُ بِدِرَاسَةِ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ جَوَانِبِ حَيَاتِهِ ﷺ.

وَلِهَذَا يَنْبَغِي لِكُلِّ إِنْسَانٍ يُرِيدُ أَنْ يَزْدَادَ مَعْرِفَةً بِنَبِيِّهِ وَإِيمَانًا بِهِ أَنْ يُطَالِعَ مِنْ سِيرَتِهِ مَا تَيَسَّرَ؛ فِي حَرْبِهِ وَسِلْمِهِ، وَشِدَّتِهِ وَرَخَائِهِ، وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِ.

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ الْحَرِيصِ عَلَىٰ دِينِهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ مَا تَيَسَّرَ مِنْ سِيرَةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الْعَبْدِ مَعْرِفَتُهَا: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ﷻ.

عَبْدَ اللهِ! إِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّىٰ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، وَكُلُّ مَا سِوَىٰ اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

«(الرَّبُّ): هُوَ الَّذِي يُرَبِّي جَمِيعَ عِبَادِهِ بِنِعَمِهِ، وَيُغَذِّيهِمْ بِرِزْقِهِ، يَخْلُقُهُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا، يَخْلُقُهُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ»[1]؛ هُوَ الَّذِي يُرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، وَيَكْلَؤُهُمْ بِحِيَاطَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

---

(١) «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» لِصَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ الْفَوْزَانِ (ص ٩٥ - ٩٦، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ).

فَكُلُّ الْعَالَمِينَ قَدْ رَبَّاهُمُ اللهُ بِنِعَمِهِ، وَأَعَدَّهُمْ لِمَا خُلِقُوا لَهُ، وَأَمَدَّهُمْ بِرِزْقِهِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي مُحَاوَرَةِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٤٩-٥٠].

فَكُلُّ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ قَدْ رَبَّاهُ اللهُ ﷻ بِنِعَمِهِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢]، وَكُلُّ مَا سِوَىٰ اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ، وَإِذَا كَانَ رَبِّي وَجَبَ عَلَيَّ أَنْ أَعْبُدَهُ وَحْدَهُ؛ فَاللهُ ﷻ مَعْبُودِي، لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أَيْ: مُرَبِّيهِمْ بِالنِّعَمِ، وَخَالِقِهِمْ، وَمَالِكِهِمْ، وَالْمُدَبِّرِ لَهُمْ كَمَا شَاءَ ﷻ.

وَنَعْرِفُ رَبَّنَا ﷻ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَآيَاتُ اللهِ -تَعَالَىٰ- نَوْعَانِ: كَوْنِيَّةٌ، وَشَرْعِيَّةٌ.

فَالْكَوْنِيَّةُ هِيَ: الْمَخْلُوقَاتُ.

وَالشَّرْعِيَّةُ هِيَ: الْوَحْيُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ رُسُلِهِ.

فَتَعْرِفُ رَبَّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْآيَاتِ الْمَنْظُورَةِ فِي الْكَوْنِ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ هَذَا الْإِبْدَاعِ، وَهُوَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ -سُبْحَانَهُ-، وَبِآيَاتِهِ الْمَسْطُورَةِ بِالنَّظَرِ فِي وَحْيِهِ الأَغَرِّ المَعْصُومِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ المَعْصُومُ ﷺ.

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ فِي تَعَاقُبِهِمَا وَاخْتِلَافِهِمَا فِي الطُّولِ وَالْقِصَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ﴾ بِجَرَيَانِهِمَا بِاسْتِمْرَارٍ مُنْذُ خَلَقَهُمَا رَبُّنَا تَعَالَىٰ، وَبِانْتِظَامِهِمَا فِي تَسْيِيرِهِمَا، وَبِمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الْعَظِيمَةِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي عُلُوِّهَا وَسَعَتِهَا، وَعِظَمِ خَلْقِهَا، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ جَعَلَهَا اللهُ فِرَاشًا وَمِهَادًا، وَذَلَّلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لِلْعِبَادِ، وَجَعَلَ فِيهِمَا سُبُلًا(١).

كُلُّ هَذِهِ مِنْ آيَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ كَمَالِ الْقُدْرَةِ، وَكَمَالِ الْحِكْمَةِ، وَكَمَالِ الرَّحْمَةِ.

ثُمَّ نَهَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْعِبَادَ أَنْ يَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ أَوِ الْقَمَرِ؛ وَإِنْ بَلَغَا مَبْلَغًا عَظِيمًا فِي نُفُوسِهِمْ؛ لِأَنَّهُمَا لَا يَسْتَحِقَّانِ الْعِبَادَةَ؛ لِكَوْنِهِمَا مَخْلُوقَيْنِ، وَإِنَّمَا الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ هُوَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الَّذِي خَلَقَهُنَّ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ۗ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ بِشَرْحِ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» لِعَبْدِ اللهِ بْنِ صَالِحٍ الْفَوْزَانَ (ص ٥٨ - ٦٢، مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ).

«يُورِدُ اللَّيْلَ عَلَىٰ النَّهَارِ فَيُلْبِسُهُ إِيَّاهُ ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: فَيَتَغَشَّاهُ وَيُلْبِسُهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ يَذْهَبُ ضَوْؤُهُ ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أَيْ: سَرِيعًا»(١)، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ أَيْ: مُذَلَّلَاتٍ جَارِيَاتٍ فِي مَجَارِيهَا بِتَسْخِيرِ اللهِ بَارِيهَا ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾(٢)؛ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ كُلُّهُ، ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ الَّذِي لَا يُرَدُّ شَرْعًا وَقَدَرًا ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾: وَ(تَبَارَكَ) فِعْلٌ خَاصٌّ بِاللهِ -تَعَالَىٰ-، لَا يُطْلَقُ عَلَىٰ غَيْرِهِ، وَالْبَرَكَةُ: كَثْرَةُ الْخَيْرِ وَنَمَاؤُهُ، وَبَرَكَاتُ اللهِ لَا تَتَنَاهَىٰ.

«وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ» أَيِ: الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ، أَوْ هُوَ الَّذِي يُعْبَدُ لِاسْتِحْقَاقِهِ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ دُونَ سِوَاهُ هُوَ اللهُ(٣).

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

النِّدَاءُ مُوَجَّهٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ مِنْ بَنِي آدَمَ، أَمَرَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَا يَجْعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا، وَبَيَّنَ أَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَحَقَّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ؛ لِكَوْنِهِ هُوَ الْخَالِقَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (١٠/ ٢٤٦، دَارُ هَجَرَ).

(٢) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٦٥).

(٣) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص: ٦٦).

فَمِنْ أَجْلِ كَوْنِهِ الرَّبَّ الْخَالِقَ كَانَ لِزَامًا عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ.

خَلَقَكَ وَأَنْشَاكَ، وَبَرَاكَ وَأَوْجَدَكَ، أَوْجَدَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا، وَلَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مَذْكُورًا فَخَلَقَهُ؛ أَفَبَعْدَ أَنْ خَلَقَكَ، وَرَزَقَكَ، وَأَعَدَّكَ وَأَمَدَّكَ تَكْفُرُ بِهِ، وَتَعْبُدُ غَيْرَهُ؟!! هَذَا هُوَ الظُّلْمُ الْكَبِيرُ.

لَا تَجْعَلُوا لِلْإِلَهِ الْعَظِيمِ وَالرَّبِّ الْكَرِيمِ خَلَقَكُمْ، وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً، وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ؛ لَا تَجْعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ كَمَا تَعْبُدُونَ اللهَ، أَوْ تُحِبُّونَهَا كَمَا تُحِبُّونَ اللهَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ لَائِقٍ بِكُمْ، لَا عَقْلًا وَلَا شَرْعًا.

تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا نِدَّ لَهُ، وَأَنَّهُ بِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالرِّزْقُ وَالتَّدْبِيرُ؛ فَلَا تَجْعَلُوا لَهُ شَرِيكًا فِي الْعِبَادَةِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»(١).

جُمْلَةٌ مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ؛ وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ، وَالِاسْتِعَاذَةُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا؛ كُلُّهَا للهِ -تَعَالَى-.

---

(١) «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» (١/ ١٩٤، دار طيبة).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

مَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللهِ؛ مِثْلَ أَنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَالْغَائِبِينَ، أَوْ رَجَاهُمْ، أَوْ خَافَهُمْ، أَوْ سَأَلَهُمْ قَضَاءَ الْحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجَ الْكُرُبَاتِ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ؛ لِأَنَّهُ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، وَكَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ جَحَدَ حَقًّا لِلَّهِ فَصَرَفَهُ لِغَيْرِهِ(١).

وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ؛ عِنْدَمَا تُنْزِلُهُ عَلَىٰ الْمُعَيَّنِينَ لَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ الشُّرُوطِ، وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ الرَّسُولِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

فَلَا يَتَنَزَّلُ هَذَا الْحُكْمُ وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يُطْلَقُ عَلَىٰ الْعُمُومِ.. لَا يَتَنَزَّلُ عَلَىٰ الْمُعَيَّنِ إِلَّا بِتَوَفُّرِ الشُّرُوطِ، وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ، هَذَا مُهِمٌّ؛ وَإِلَّا تَوَرَّطَ طَالِبُ الْعِلْمِ فِي تَكْفِيرِ النَّاسِ جُمْلَةً.

الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الدُّعَاءُ..

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٧٢).

فِي الْحَدِيثِ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ﴾، يَعْنِي: أَخْلِصُوا لِيَ الْعِبَادَةَ وَوَحِّدُونِي، ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: أُجِبْ دُعَاءَكُمْ، وَأَعْفُ عَنْكُمْ، وَأُسَدِّدْكُمْ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: يَتَعَظَّمُونَ عَنْ إِفْرَادِي بِالْعِبَادَةِ، وَيَسْتَنْكِفُونَ عَنْ ذَلِكَ، ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ يَعْنِي: أَذِلَّةً صَاغِرِينَ(٢).

فَدَلَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَىٰ أَنَّ الدُّعَاءَ مِنَ الْعِبَادَةِ.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يَعْنِي: عَنْ دُعَائِي، وَهُوَ مِنْ عِبَادَتِي؛ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ بَلْ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فَمَنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ ﷻ بِشَيْءٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ سَوَاءٌ كَانَ الْمَدْعُوُّ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الصَّلَاةِ، ٣٥٦: ١، رَقْمُ ١٤٧٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الدُّعَاءِ، ١: ٣، رَقْمُ ٣٣٧٢)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الدُّعَاءِ، ١: ٢، رَقْمُ ٣٨٢٨)، مِنْ حَدِيثِ: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٥/ رَقْمُ ١٣٢٩).

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٠/ ٣٥١ - ٣٥٤، دَارُ هَجَرَ).

وَمَنْ دَعَا حَيًّا بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ؛ مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: يَا فُلَانُ أَطْعِمْنِي، يَا فُلَانُ اسْقِنِي؛ فَلَا شَيْءَ فِيهِ.

وَمَنْ دَعَا مَيِّتًا أَوْ غَائِبًا بِمِثْلِ هَذَا فَإِنَّهُ مُشْرِكٌ؛ لِأَنَّ الْمَيِّتَ أَوِ الْغَائِبَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ بِمِثْلِ هَذَا، فَدُعَاؤُهُ إِيَّاهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ لَهُ تَصَرُّفًا فِي الْكَوْنِ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ مُشْرِكًا.

وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّعَاءَ نَوْعَانِ: دُعَاءُ مَسْأَلَةٍ، وَدُعَاءُ عِبَادَةٍ.

دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ هُوَ: دُعَاؤُهُ -سُبْحَانَهُ- بِجَلْبِ الْمَنْفَعَةِ، وَدَفْعِ الْمَضَرَّةِ.

وَدُعَاءُ الْعِبَادَةِ هُوَ: دُعَاءُ اللهِ -تَعَالَىٰ- امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ(١).

دُعَاءُ الْعِبَادَةِ: أَنْ يَتَعَبَّدَ بِهِ لِلْمَدْعُوِّ طَلَبًا لِثَوَابِهِ، وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ لِغَيْرِ اللهِ، وَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الْخَوْفُ

وَ(الْخَوْفُ) مِنَ الْعِبَادَاتِ الْجَلِيلَةِ، وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَالْخَوْفُ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ- يَكُونُ مَحْمُودًا، وَيَكُونُ غَيْرَ مَحْمُودٍ.

فَالْمَحْمُودُ: مَا كَانَتْ غَايَتُهُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَةِ اللهِ؛ بِحَيْثُ يَحْمِلُكَ

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» لِعَبْدِ اللهِ بْنِ صَالِحِ الْفَوْزَانِ (ص ٧٤ - ٧٥، مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ).

عَلَىٰ فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ.

وَغَيْرُ الْمَحْمُودِ: مَا يَحْمِلُ الْعَبْدَ عَلَىٰ الْيَأْسِ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَالْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَحِينَئِذٍ يَتَحَسَّرُ الْعَبْدُ وَيَتَمَادَىٰ فِي الْمَعْصِيَةِ؛ لِقُوَّةِ يَأْسِهِ.

وَالْخَوْفُ أَنْوَاعٌ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: **خَوْفٌ طَبْعِيٌّ غَرِيزِيٌّ**؛ كَخَوْفِ الْإِنْسَانِ مِنَ السَّبُعِ، وَالنَّارِ، وَالْغَرَقِ، وَهَذَا لَا يُلَامُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْ مُوسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨].

لَكِنْ إِذَا كَانَ هَذَا الْخَوْفُ سَبَبًا لِتَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ كَانَ حَرَامًا.

النَّوْعُ الثَّانِي: **خَوْفُ الْعِبَادَةِ**؛ أَنْ يَخَافَ أَحَدًا يَتَعَبَّدُ بِالْخَوْفِ لَهُ، فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ -تَعَالَىٰ-، وَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ شِرْكٌ أَكْبَرُ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: **خَوْفُ السِّرِّ**؛ كَأَنْ يَخَافَ صَاحِبَ الْقَبْرِ، أَوْ وَلِيًّا بَعِيدًا عَنْهُ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ، لَكِنَّهُ يَخَافُهُ مَخَافَةَ سِرٍّ؛ فَهَذَا -أَيْضًا- ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِنَ الشِّرْكِ.

هُنَاكَ نَوْعٌ رَابِعٌ: وَهُوَ: أَنْ يَتْرُكَ الْإِنْسَانُ مَا يُحِبُّ خَوْفًا مِنَ النَّاسِ؛ كَأَنْ يَتْرُكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ خَوْفًا مِنَ النَّاسِ، هَذَا خَوْفٌ مُحَرَّمٌ مَذْمُومٌ(١).

وَهُنَالِكَ نَوْعٌ خَامِسٌ -**أَيْضًا**-: هُوَ الْخَوْفُ الْوَهْمِيُّ(٢).

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٧٧).

(٢) «الْقَوْلُ السَّدِيدُ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ - بَابُ: إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ» لِلسَّعْدِيِّ (ص ١٣٢، ط الْوَزَارَةِ).

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الرَّجَاءُ

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الرَّجَاءُ، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وَالرَّجَاءُ: طَمَعُ الْإِنْسَانِ فِي أَمْرٍ قَرِيبِ الْمَنَالِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْحَقِيقَةِ بَعِيدَ الْمَنَالِ، تَنْزِيلًا لَهُ مَنْزِلَةَ الْقَرِيبِ.

وَالرَّجَاءُ الْمُتَضَمِّنُ لِلذُّلِّ وَالْخُضُوعِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ، وَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ- شِرْكٌ؛ إِمَّا أَصْغَرُ، وَإِمَّا أَكْبَرُ، بِحَسَبِ مَا يَقُومُ بِقَلْبِ الرَّاجِي.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّجَاءَ الْمَحْمُودَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ، وَرَجَا ثَوَابَهَا، أَوْ تَابَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَرَجَا قَبُولَ تَوْبَتِهِ، فَأَمَّا الرَّجَاءُ بِلَا عَمَلٍ فَهُوَ غُرُورٌ وَتَمَنٍّ مَذْمُومٌ.

وَالَّذِي يَقُولُ لَكَ: أَنَا عِنْدِي رَجَاءٌ فِي رَحْمَةِ اللهِ، وَأَنَا أَرْجُو رَبِّي، وَلَا يَعْمَلُ؛ لَا يُصَلِّي، لَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ، لَا يَنْكَفُّ عَنِ الشَّرِّ، وَيَقُولُ: أَنَا أَرْجُو رَحْمَةَ اللهِ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، مَعَ تَرْكِ الْعَمَلِ؛ هَذَا تَمَنٍّ، وَهَذَا غُرُورٌ.

وَأَمَّا مَعَ الْعَمَلِ فَهُوَ رَجَاءٌ، فَيَتُوبُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَيَرْجُو قَبُولَ التَّوْبَةِ، يَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ، يَعْمَلُ الطَّاعَةَ، وَيَرْجُو الثَّوَابَ مِنَ اللهِ؛ فَهَذَا عَامِلٌ، وَيَرْجُو الْعَطَاءَ مِنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: التَّوَكُّلُ

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: التَّوَكُّلُ، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-: الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- كِفَايَةً وَحَسْبًا فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾، لَا عَلَىٰ غَيْرِهِ؛ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ حَقُّهُ التَّأْخِيرُ؛ وَلَكِنْ قُدِّمَ هَاهُنَا لِإِفَادَةِ الْقَصْرِ وَالِاخْتِصَاصِ، فَالتَّوَكُّلُ للهِ وَحْدَهُ.

وَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ فِي اعْتِمَادِهِ عَلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- كَفَاهُ -تَعَالَىٰ- مَا أَهَمَّهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ أَيْ: كَافِيهِ، ثُمَّ طَمْأَنَ الْمُتَوَكِّلَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣]، فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

وَحَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ: أَنْ يَعْتَمِدَ الْعَبْدُ عَلَىٰ اللهِ ﷻ اعْتِمَادًا صَادِقًا فِي مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، مَعَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ الْمَأْذُونِ فِيهَا.

وَأَمَّا تَرْكُ الْأَسْبَابِ؛ فَذَلِكَ طَعْنٌ فِي الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَتْ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، وَكَذَلِكَ الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ الْأَسْبَابِ شِرْكٌ.

فَالتَّوَكُّلُ اعْتِقَادٌ وَاعْتِمَادٌ وَعَمَلٌ؛ تَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ كَافِيكَ وَرَاعِيكَ، وَأَنَّهُ كَالِئُكَ؛ فَهَذَا اعْتِقَادٌ، وَاعْتِمَادٌ: بِالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَعَمَلٌ أَيْ: أَخْذٌ بِالْأَسْبَابِ(١).

إِذَا تَوَكَّلَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ مَيِّتٍ فِي جَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ بِتَوَكُّلِ السِّرِّ، يَعْنِي: يَقُولُ: فُلَانٌ الْوَلِيُّ هُوَ عَلَىٰ عِلْمٍ بِمَا سَنَصْنَعُ مِنْ هَذَا الَّذِي نَأْخُذُ فِيهِ، سَيُعِينُنَا وَيَجْلِبُ لَنَا الْمَنْفَعَةَ، وَيَدْفَعُ عَنَّا الْمَضَرَّةَ، وَيَتَّكِئُ عَلَىٰ ذَلِكَ اتِّكَاءً، فَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، هَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ إِلَّا مِمَّنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَذَا الْمَيِّتِ تَصَرُّفًا سِرِّيًّا فِي الْكَوْنِ.

لَا تَقُلْ: أَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَىٰ اللهِ ثُمَّ عَلَيْكَ؛ لِأَنَّ التَّوَكُّلَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ.

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالْخُشُوعُ

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ:

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الرَّغَبُ: بِمَعْنَىٰ الضَّرَاعَةِ وَالْمَسْأَلَةِ.

وَالرَّهَبُ: بِمَعْنَىٰ الْخَوْفِ.

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٨٣ - ٨٤).

وَالْمَعْنَىٰ: يَدْعُونَنَا رَغَبًا فِي رَحْمَتِنَا، وَرَهَبًا مِنْ عُقُوبَتِنَا، ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾: خَاضِعِينَ مُتَذَلِّلِينَ(١).

الرَّغْبَةُ: مَحَبَّةُ الْوُصُولِ إِلَىٰ الشَّيْءِ الْمَحْبُوبِ.

الرَّهْبَةُ: الْخَوْفُ الْمُثْمِرُ لِلْهَرَبِ مِنَ الْمَخُوفِ، فَهِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِعَمَلٍ.

الْخُشُوعُ: الذُّلُّ وَالتَّطَامُنُ لِعَظَمَةِ اللهِ؛ بِحَيْثُ يَسْتَسْلِمُ لِقَضَائِهِ الْكَوْنِيِّ وَالشَّرْعِيِّ.

فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: وَصَفَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْخُلَّصَ مِنْ عِبَادِهِ بِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ اللهَ -تَعَالَىٰ- رَغَبًا وَرَهَبًا مَعَ الْخُشُوعِ لَهُ، وَالدُّعَاءُ هُنَا شَامِلٌ لِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ وَدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ؛ فَهُمْ يَدْعُونَ اللهَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَهُ، وَطَمَعًا فِي ثَوَابِهِ، مَعَ خَوْفِهِمْ مِنْ عِقَابِهِ وَآثَارِ ذُنُوبِهِمْ.

وَالْمُؤْمِنُ يَنْبَغِي أَنْ يَسْعَىٰ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَيُغَلِّبَ الرَّجَاءَ فِي جَانِبِ الطَّاعَةِ؛ لِيَنْشَطَ عَلَيْهَا، وَيُؤَمِّلَ قَبُولَهَا، وَيُغَلِّبَ الْخَوْفَ إِذَا هَمَّ بِالْمَعْصِيَةِ؛ لِيَهْرُبَ مِنْهَا، وَيَنْجُوَ مِنْ عِقَابِهَا.

وَقِيلَ: يَكُونُ رَجَاؤُهُ وَخَوْفُهُ وَاحِدًا سَوَاءً؛ لِئَلَّا يَحْمِلَهُ الرَّجَاءُ عَلَىٰ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْخَوْفُ عَلَىٰ الْيَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَكِلَاهُمَا قَبِيحٌ مُهْلِكٌ لِصَاحِبِهِ.

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٨٨ - ٨٩).

وَالْخُشُوعُ: حُضُورُ الْقَلْبِ وَقْتَ تَلَبُّسِهِ بِطَاعَةِ اللهِ مَعَ سُكُونِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَهَذَا خُشُوعٌ خَاصٌّ.

وَأَمَّا الْخُشُوعُ الدَّائِمُ الَّذِي هُوَ وَصْفُ خَوَاصِّ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَيَنْشَأُ مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَمُرَاقَبَتِهِ لَهُ، فَيَسْتَوْلِي ذَلِكَ عَلَىٰ الْقَلْبِ كَمَا تَسْتَوْلِي عَلَىٰ الْقَلْبِ الْمَحَبَّةُ؛ فَخُشُوعٌ خَاصٌّ، وَخُشُوعٌ عَامٌّ.

الْخُشُوعُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ بِهِ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فِي صَلَوَاتِهِ هُوَ: تَلَبُّسُ الْقَلْبِ فِي حَالِ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ، وَحُضُورُ الْقَلْبِ فِي حَالِ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ مُتَلَبِّسًا بِالْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَالتَّعْظِيمِ لَهُ؛ وَحِينَئِذٍ يَسْكُنُ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَإِذَا خَشَعَ الْقَلْبُ سَكَنَتِ الْجَوَارِحُ، وَهَذَا خُشُوعٌ خَاصٌّ.

وَأَمَّا الْخُشُوعُ الدَّائِمُ الَّذِي هُوَ وَصْفُ الْعِبَادِ الْمُقَرَّبِينَ -نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ-؛ فَهَذَا لَا يَنْفَكُّ عَنِ الْقَلْبِ بِحَالٍ، وَأَمَّا أَنْ يَتَلَبَّسَ الْقَلْبُ بِحَالِ الْخُشُوعِ فِي حَالِ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ وَالْإِتْيَانِ بِهَا وَفِعْلِهَا؛ فَهَذَا خُشُوعٌ خَاصٌّ.

وَأَمَّا الْعَامُّ، وَهُوَ مَا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ الْمُجَاهِدُونَ، ويَتَنَافَسُ فِي تَحْصِيلِهِ الْمُتَنَافِسُونَ؛ فَهَذَا وَصْفُ خَوَاصِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَنْشَأُ مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَمُرَاقَبَتِهِ لَهُ، فَيَسْتَوْلِي ذَلِكَ الْخُشُوعُ عَلَىٰ الْقَلْبِ كَمَا تَسْتَوْلِي عَلَيْهِ الْمَحَبَّةُ[1].

---

(١) «فَوَائِدُ قُرْآنِيَّةٌ» لِلسَّعْدِيِّ (ص ٩٦)، «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٨٩ - ٩٠).

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الْخَشْيَةُ

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الْخَشْيَةُ، وَدَلِيلُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠].

الْخَشْيَةُ: هِيَ الْخَوْفُ الْمَبْنِيُّ عَلَىٰ الْعِلْمِ بِعَظَمَةِ مَنْ يَخْشَاهُ، وَكَمَالِ سُلْطَانِهِ.

الْخَشْيَةُ: خَوْفٌ يَشُوبُهُ تَعْظِيمٌ(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] أَيِ: الْعُلَمَاءُ بِعَظَمَتِهِ وَكَمَالِ سُلْطَانِهِ؛ فَهِيَ أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ.

مَقَامُ الْخَشْيَةِ أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ؛ لِأَنَّهَا خَوْفٌ مَشُوبٌ بِالتَّعْظِيمِ.

الْخَوْفُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْإِخْبَاتُ، وَالْوَجَلُ؛ مَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ.

الْخَوْفُ يَمْنَعُ الْعَبْدَ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَتُشَارِكُهُ الْخَشْيَةُ فِي ذَلِكَ، وَتَزِيدُ أَنَّ خَوْفَهُ يَكُونُ مَقْرُونًا بِمَعْرِفَةِ رَبِّهِ.

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الْإِنَابَةُ

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الْإِنَابَةُ، وَدَلِيلُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

---

(١) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» لِلرَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ (ص ٢٨٣، دَارُ الْقَلَمِ)، وَ«حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٨٩).

الْإِنَابَةُ: الرُّجُوعُ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ مَعْنَىٰ التَّوْبَةِ؛ إِلَّا أَنَّهَا أَرَقُّ مِنْهَا؛ لِمَا تَشْعُرُ بِهِ مِنَ الِاعْتِمَادِ عَلَىٰ اللهِ، وَاللُّجُوءِ إِلَيْهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ -تَعَالَىٰ-.

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: ارْجِعُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ، ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾: الْمُرَادُ بِالْإِسْلَامِ هُنَا: الْإِسْلَامُ الشَّرْعِيُّ، لَا الِاسْتِسْلَامُ الْقَهْرِيُّ الْكَوْنِيُّ الْقَدَرِيُّ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ هُنَا: الِاسْتِسْلَامُ وَالِانْقِيَادُ لِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ(١).

الْإِنَابَةُ أَعْلَىٰ مِنَ التَّوْبَةِ؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ إِقْلَاعٌ، وَنَدَمٌ، وَعَزْمٌ عَلَىٰ أَلَّا يَعُودَ، وَالْإِنَابَةُ فِيهَا الْمَعَانِي الثَّلَاثَةُ الَّتِي هِيَ فِي التَّوْبَةِ، وَتَزِيدُ مَعْنًىٰ آخَرَ: وَهُوَ الْإِقْبَالُ عَلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِالْعِبَادَاتِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

❀❀❀

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٩١).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الِاسْتِعَانَةُ

فَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الِاسْتِعَانَةُ، وَدَلِيلُ الِاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وَفِي الْحَدِيثِ: «**إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(١).

الِاسْتِعَانَةُ: طَلَبُ الْعَوْنِ.

وَهِيَ أَنْوَاعٌ:

الْأَوَّلُ: الِاسْتِعَانَةُ بِاللهِ، وَهِيَ: الِاسْتِعَانَةُ الْمُتَضَمِّنَةُ لِكَمَالِ الذُّلِّ مِنَ الْعَبْدِ

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (الرِّقَاقِ، ٥٩: ٣، رَقْمُ ٢٥١٦)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٥٣٠٢).

لِرَبِّهِ، وَتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَاعْتِقَادِ كِفَايَتِهِ، وَهَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ -تَعَالَىٰ-، وَدَلِيلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

وَصَرْفُ هَذَا النَّوْعِ لِغَيْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ- شِرْكٌ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ.

الِاسْتِعَانَةُ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا للهِ تَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ للهِ، وَالثِّقَةُ بِاللهِ -تَعَالَىٰ-، وَالِاعْتِمَادُ عَلَىٰ اللهِ -سُبْحَانَهُ-.

هَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا للهِ، فَمَنِ اسْتَعَانَ بِغَيْرِهِ -تَعَالَىٰ- مُحَقِّقًا هَذِهِ الْمَعَانِيَ الثَّلَاثَةَ فَقَدْ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ(١)؛ فَتَأَمَّلْ!

النَّوْعُ الثَّانِي: الِاسْتِعَانَةُ بِالْمَخْلُوقِ عَلَىٰ أَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْمَخْلُوقُ.

يَعْنِي: طَلَبَ مِنَ الْمَخْلُوقِ الْحَاضِرِ أَنْ يُعِينَهُ، وَأَنْ يُسَاعِدَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ.

فَهَذِهِ عَلَىٰ حَسَبِ الْمُسْتَعَانِ عَلَيْهِ؛ فَإِنْ كَانَتْ عَلَىٰ بِرٍّ فَهِيَ جَائِزَةٌ لِلْمُسْتَعِينِ، مَشْرُوعَةٌ لِلْمُعِينِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٢]، وَإِنْ كَانَتِ الِاسْتِعَانَةُ عَلَىٰ إِثْمٍ فَهِيَ حَرَامٌ عَلَىٰ الْمُسْتَعِينِ وَالْمُعِينِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[المائدة: ٢]، وَإِنْ كَانَتْ عَلَىٰ مُبَاحٍ فَهِيَ جَائِزَةٌ لِلْمُسْتَعِينِ وَالْمُعِينِ.

الثَّالِثُ: الِاسْتِعَانَةُ بِمَخْلُوقٍ حَيٍّ حَاضِرٍ غَيْرِ قَادِرٍ؛ فَهَذِهِ لَغْوٌ لَا طَائِلَ تَحْتَهَا؛ مِثْلَ: أَنْ يَسْتَعِينَ بِشَخْصٍ ضَعِيفٍ عَلَىٰ حَمْلِ شَيْءٍ ثَقِيلٍ.

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٩٢).

الرَّابِعُ: الِاسْتِعَانَةُ بِالْأَمْوَاتِ مُطْلَقًا، أَوْ بِالْأَحْيَاءِ عَلَىٰ أَمْرٍ غَائِبٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ مُبَاشَرَتِهِ، فَهَذَا شِرْكٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ إِلَّا مِنْ شَخْصٍ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ تَصَرُّفًا خَفِيًّا فِي الْكَوْنِ.

الْخَامِسُ: الِاسْتِعَانَةُ بِالْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ الْمَحْبُوبَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَهَذِهِ مَشْرُوعَةٌ بِأَمْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الِاسْتِعَاذَةُ

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الِاسْتِعَاذَةُ، وَدَلِيلُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١].

الِاسْتِعَاذَةُ: هِيَ الِاعْتِصَامُ وَالِالْتِجَاءُ إِلَىٰ مَنْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُعِيذُكَ وَيُلْجِئُكَ، فَتَعُوذُ بِهِ وَتَلْتَجِئُ إِلَيْهِ(١)، فَالْمُسْتَعِيذُ مُحْتَمٍ بِمَنِ اسْتَعَاذَ بِهِ، وَمُعْتَصِمٌ بِهِ.

وَالِاسْتِعَاذَةُ أَنْوَاعٌ:

الْأَوَّلُ: الِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ -تَعَالَىٰ-، وَهِيَ الْمُتَضَمِّنَةُ لِكَمَالِ الِافْتِقَارِ إِلَى اللهِ، وَالِاعْتِصَامِ بِهِ، وَاعْتِقَادِ كِفَايَتِهِ، وَتَمَامِ حِمَايَتِهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَاضِرٍ أَوْ مُسْتَقْبَلٍ، صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، بَشَرٍ أَوْ غَيْرِ بَشَرٍ.

وَدَلِيلُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١].

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٩٥).

الثَّانِي: الِاسْتِعَاذَةُ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ؛ كَكَلَامِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَعِزَّتِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ ﷺ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»(١).

وَقَوْلُهُ: «**أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»(٢).

وَقَوْلُهُ فِي دُعَاءِ الْأَلَمِ: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»(٣).

وَقَوْلُهُ: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**»(٤).

الثَّالِثُ: الِاسْتِعَاذَةُ بِالْأَمْوَاتِ، أَوْ بِالْأَحْيَاءِ غَيْرِ الْحَاضِرِينَ الْقَادِرِينَ عَلَى الْعَوْذِ؛ فَهَذَا شِرْكٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦**﴾ [الجن: ٦].

الرَّابِعُ: الِاسْتِعَاذَةُ بِمَا يُمْكِنُ الْعَوْذُ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ؛ مِنَ الْبَشَرِ، أَوِ الْأَمَاكِنِ،

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الدَّعَوَاتِ، ١٦: ٢، رَقْمُ ٢٧٠٨)، مِنْ حَدِيثِ: خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ، بِلَفْظِ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**».

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْأَدَبِ، ١١٠: ٨، رَقْمُ ٥٠٧٤)، وَالنَّسَائِيُّ فِي (الِاسْتِعَاذَةِ، ٦٠: ١، رَقْمُ ٥٥٢٩)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي (الدُّعَاءِ، ١٤: ٥، رَقْمُ ٣٨٧١)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٦٥٩).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الطِّبِّ، ٩، رَقْمُ ٢٢٠٢)، مِنْ حَدِيثِ: عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الصَّلَاةِ، ٤٢: ٨، رَقْمُ ٤٨٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

أَوْ غَيْرِهَا، فَهَذَا جَائِزٌ، وَدَلِيلُهُ: قَوْلُهُ ﷺ فِي ذِكْرِ الْفِتَنِ: «**مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَقَدْ بَيَّنَ ﷺ هَذَا الْمَلْجَأَ وَالْمَعَاذَ بِقَوْلِهِ: «**فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ**». الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

وَلَكِنْ إِنِ اسْتَعَاذَ مِنْ شَرِّ ظَالِمٍ وَجَبَ إِيوَاؤُهُ وَإِعَاذَتُهُ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، وَإِنِ اسْتَعَاذَ لِيَتَوَصَّلَ إِلَىٰ فِعْلِ مَحْظُورٍ أَوِ الْهَرَبِ مِنْ وَاجِبٍ حَرُمَ إِيوَاؤُهُ.

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الِاسْتِغَاثَةُ

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الِاسْتِغَاثَةُ، وَدَلِيلُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

الِاسْتِغَاثَةُ: طَلَبُ الْغَوْثِ، وَهُوَ: الْإِنْقَاذُ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْهَلَاكِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ٢٥: ٢٩، رَقْمُ ٣٦٠١)، وَفِي (الْفِتَنِ، ٩، رَقْمُ ٧٠٨١، و٧٠٨٢)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْفِتَنِ، ٣: ٣، رَقْمُ ٢٨٨٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
قَالَ النَّوَوِيُّ فِي «شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١٨/ ٩): «أَمَّا (تَشَرَّفَ) فَرُوِيَ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ مَشْهُورَيْنِ، أَحَدُهُمَا: بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقَ وَالشِّينِ وَالرَّاءِ، وَالثَّانِي: (يُشْرِفْ) بِضَمِّ الْيَاءِ وَإِسْكَانِ الشِّينِ وَكَسْرِ الرَّاءِ، وَهُوَ مِنَ الْإِشْرَافِ لِلشَّيْءِ، وَهُوَ الِانْتِصَابُ وَالتَّطَلُّعُ إِلَيْهِ وَالتَّعَرُّضُ لَهُ، وَمَعْنَىٰ (تَسْتَشْرِفْهُ) تَقْلِبْهُ وَتَصْرَعْهُ، وَقِيلَ: مِنَ الْإِشْرَافِ بِمَعْنَىٰ الْإِشْفَاءِ عَلَىٰ الْهَلَاكِ، وَمِنْهُ: أَشْفَىٰ الْمَرِيضُ عَلَىٰ الْمَوْتِ وَأَشْرَفَ».
(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْفِتَنِ، ٣: ٦، رَقْمُ ٢٨٨٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه.

الْفَرْقُ بَيْنَ الِاسْتِغَاثَةِ وَالِاسْتِعَاذَةِ: أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ أَنْ تَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَعْصِمَكَ، وَأَنْ يَمْنَعَكَ، وَأَنْ يُحَصِّنَكَ، وَالِاسْتِغَاثَةُ أَنْ تَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ مَا فِيكَ مِنْ شِدَّةٍ، وَالِاثْنَتَانِ تَتَطَلَّبَانِ كَمَالَ الِافْتِقَارِ إِلَىٰ اللهِ مَعَ اعْتِقَادِ كِفَايَتِهِ ﷻ(١).

وَالِاسْتِغَاثَةُ أَقْسَامٌ:

الْأَوَّلُ: الِاسْتِغَاثَةُ بِاللهِ ﷻ، وَهَذَا مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَأَكْمَلِهَا، وَهُوَ دَأْبُ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَدَلِيلُهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩].

﴿مُمِدُّكُم﴾: مُعِينُكُمْ، مِنَ الْإِمْدَادِ ﴿مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ يَعْنِي: مُتَتَابِعِينَ(٢).

وَكَانَ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ حِينَ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ فِي أَلْفِ رَجُلٍ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا.

الثَّانِي: الِاسْتِغَاثَةُ بِالْأَمْوَاتِ أَوْ بِالْأَحْيَاءِ غَيْرِ الْحَاضِرِينَ الْقَادِرِينَ عَلَىٰ الْإِغَاثَةِ، فَهَذَا شِرْكٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ تَصَرُّفًا خَفِيًّا فِي الْكَوْنِ، فَيَجْعَلُ لَهُمْ حَظًّا مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

الثَّالِثُ: الِاسْتِغَاثَةُ بِالْأَحْيَاءِ الْعَالِمِينَ الْقَادِرِينَ عَلَىٰ الْإِغَاثَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ كَالِاسْتِعَانَةِ بِهِمْ، قَالَ -تَعَالَىٰ- فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٩٧).

(٢) «تَفْسِيرُ الْجَلَالَيْنِ» (ص ٢٢٨، دَارُ الْحَدِيثِ - الْقَاهِرَةُ).

الرَّابِعُ: الِاسْتِغَاثَةُ بِحَيٍّ غَيْرِ قَادِرٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ لَهُ قُوَّةً خَفِيَّةً؛ مِثْلَ أَنْ يَسْتَغِيثَ الْغَرِيقُ بِرَجُلٍ مَشْلُولٍ، فَهَذَا لَغْوٌ وَسُخْرِيَةٌ بِمَنِ اسْتَغَاثَ بِهِ، فَيُمْنَعُ مِنْهُ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ، وَلِعِلَّةٍ أُخْرَىٰ؛ وَهِيَ: أَنَّ الْغَرِيقَ رُبَّمَا اغْتَرَّ بِذَلِكَ غَيْرُهُ، فَتَوَهَّمَ أَنَّ لِهَذَا الْمَشْلُولِ قُوَّةً خَفِيَّةً يُنْقِذُ بِهَا مِنَ الشِّدَّةِ.

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الذَّبْحُ وَالنَّذْرُ

مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الذَّبْحُ، وَدَلِيلُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»(١).

الذَّبْحُ: إِزْهَاقُ الرُّوحِ بِإِرَاقَةِ الدَّمِ عَلَىٰ وَجْهٍ مَخْصُوصٍ، وَيَقَعُ عَلَىٰ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَقَعَ عِبَادَةً؛ بِأَنْ يُقْصَدَ بِهِ تَعْظِيمُ الْمَذْبُوحِ لَهُ، وَالتَّذَلُّلُ لَهُ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ، فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ-، وَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ.

الثَّانِي: أَنْ يَقَعَ الذَّبْحُ إِكْرَامًا لِضَيْفٍ، أَوْ وَلِيمَةً لِعُرْسٍ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَهَذَا مَأْمُورٌ بِهِ؛ إِمَّا وُجُوبًا أَوِ اسْتِحْبَابًا؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»(٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْأَضَاحِيِّ، ٨، رَقْمُ ١٩٧٨)، مِنْ حَدِيثِ: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْأَدَبِ، ٣١: ١، رَقْمُ ٦٠١٨) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، =

الثَّالِثُ: أَنْ يَقَعَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّمَتُّعِ بِالْأَكْلِ، أَوْ الِاتِّجَارِ بِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا مِنْ قِسْمِ الْمُبَاحِ، فَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِبَاحَةُ.

الذَّبَائِحُ مَشْرُوعَةٌ، وَمُبَاحَةٌ، وَمُحَرَّمَةٌ:

- **الذَّبَائِحُ الْمَشْرُوعَةُ:** الضَّحَايَا وَالْهَدَايَا -أَيِ: الْهَدْيُ، مَا كَانَ هَدْيًا-، وَالنُّذُورُ للهِ -تَعَالَىٰ-، وَالْعَقِيقَةُ، وَالْوَلَائِمُ، وَلِإِكْرَامِ الضَّيْفِ، وَصَدَقَةٌ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَفِدْيَةٌ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَكُلُّ هَذِهِ ذَبَائِحُ مَشْرُوعَةٌ.

- **وَمِنْهَا مَا هُوَ مُبَاحٌ؛** كَذَبْحِ الْجَزَّارِ لِلْبَيْعِ، وَكَذَبْحِ الرَّجُلِ لِلْأَكْلِ.

- **وَمِنْهَا مَا هُوَ مُحَرَّمٌ، وَالْمُحَرَّمُ مِنْهُ مَا يَكُونُ شِرْكًا أَكْبَرَ؛** كَالذَّبْحِ لِلْأَصْنَامِ، وَالذَّبْحِ لِلْجِنِّ، وَالذَّبْحِ لِلْقِبَابِ وَالْمَشَاهِدِ وَالْقُبُورِ، وَالذَّبْحِ فِي حَفَلَاتِ الزَّارِ لِاسْتِخْرَاجِ الْجِنِّ، فَهُوَ ذَبْحٌ لِلْجِنِّ -أَيْضًا-؛ فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَالذَّبْحُ لِلْبِئْرِ الْجَدِيدَةِ قَبْلَ الشُّرْبِ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ الذَّبْحُ عِنْدَ الِانْتِهَاءِ مِنَ الْبَيْتِ لِلْجِنِّ؛ حَتَّىٰ لَا يَسْكُنَ الْبَيْتَ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ دُخُولِ الْعَرُوسَيْنِ الْبَيْتَ مِنْ أَجْلِ الْجِنِّ، فَيَخُوضَانِ فِي الدِّمَاءِ بَعْدَ سَفْحِهَا؛ فَكُلُّ هَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ.

وَمِنْهَا -أَيْ: مِنَ الذَّبَائِحِ الْمُحَرَّمَةِ-: الذَّبْحُ فِي مَكَانٍ خَاصٍّ يُفَضِّلُ الذَّابِحُ الذَّبْحَ فِيهِ، وَيَأْتِي ذَلِكَ مِنْهُ عَلَىٰ سَبِيلِ الِاعْتِقَادِ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: النَّذْرُ، وَدَلِيلُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧].

=

١٩ : ٢، رَقْمُ ٤٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

«النَّذْرُ: أَنْ يُلْزِمَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ شَيْئًا غَيْرَ لَازِمٍ بِأَصْلِ الشَّرْعِ، فَيُلْزِمَ نَفْسَهُ بِصَدَقَةٍ، أَوْ صِيَامٍ، أَوْ صَلَاةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، إِمَّا بِتَعْلِيقِهِ بِشَيْءٍ أَوْ يَكُونُ ابْتِدَاءً، إِمَّا أَنْ يُعَلِّقَ الْمَنْذُورَ بِشَيْءٍ؛ يَعْنِي: كَأَنْ يَتَحَصَّلَ عَلَىٰ كَذَا، أَوْ أَلَّا يُصِيبَهُ كَذَا، فَهَذَا مُعَلَّقٌ بِشَيْءٍ، أَوْ يَكُونُ ابْتِدَاءً، فَيَنْذِرُ للهِ مِنْ غَيْرِ مَا مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ.

الْجُمْهُورُ عَلَىٰ أَنَّ النَّذْرَ مَكْرُوهٌ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ بِتَحْرِيمِ النَّذْرِ؛ وَلَكِنَّهُ إِنْ وَقَعَ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ»[1]، يَعْنِي: سَوَاءٌ كَانَ يَقُولُ بِأَنَّهُ مَكْرُوهٌ، أَوْ يَقُولُ بِأَنَّهُ مُحَرَّمٌ، إِذَا نَذَرَ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفِيَ بِنَذْرِهِ.

شُرُوطُ النَّذْرِ سِتَّةٌ[2]:

- أَنْ يَكُونَ للهِ، لَا لِغَيْرِهِ[3].

- أَنْ يَكُونَ فِي طَاعَةٍ، لَا فِي مَعْصِيَةٍ: لَا يَنْذِرُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا مَا صَنَعَ كَذَا، وَقُدِّرَ لَهُ كَوْنُ كَذَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعَاصِي لَيَذْبَحَنَّ كَذَا وَكَذَا، لَا يَكُونُ النَّذْرُ فِي مَعْصِيَةٍ، بَلْ يَكُونُ فِي طَاعَةٍ[4].

- أَنْ يَكُونَ النَّذْرُ فِيمَا يُطِيقُهُ الْإِنْسَانُ، لَا فِيمَا لَا يُطِيقُهُ[5].

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١٠١).

(٢) «مَعَارِجُ الْقَبُولِ» (٢/ ٤٥٥ - ٤٥٧، دَارُ ابْنِ الْقَيِّمِ - الدَّمَّامُ).

(٣) لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

(٤) لِقَوْلِهِ ﷺ: «**لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**»، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (النَّذْرِ، ٣، رَقْمُ ١٦٤١)، مِنْ حَدِيثِ: عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه.

(٥) لِمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (جُزْءِ الصَّيْدِ، ٢٧: ١، رَقْمُ ١٨٦٥)، وَفِي (الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ،

- **وَأَنْ يَكُونَ فِيمَا يَمْلِكُهُ، لَا فِيمَا لَا يَمْلِكُهُ**، يَعْنِي: نَذَرْتُ للهِ نَذْرًا إِنْ آتَانِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَذَا لَأَذْبَحَنَّ بَقَرَتَكَ.

- **وَأَلَّا يَكُونَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ يُعْبَدُ فِيهِ غَيْرُ اللهِ، أَوْ ذَرِيعَةً لِعِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ**(١).

وَالشَّرْطُ السَّادِسُ: أَلَّا يَعْتَقِدَ النَّاذِرُ تَأْثِيرَ النَّذْرِ فِي حُصُولِ مَا نَذَرَ مِنْ أَجْرٍ(٢).

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّذْرَ الَّذِي امْتَدَحَ اللهُ -تَعَالَىٰ- هَؤُلَاءِ الْقَائِمِينَ بِهِ هُوَ جَمِيعُ الْعِبَادَاتِ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ ﷻ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَاتِ الْوَاجِبَةَ إِذَا شَرَعَ فِيهَا الْإِنْسَانُ فَقَدِ الْتَزَمَ بِهَا.

وَالنَّذْرُ الَّذِي هُوَ إِلْزَامُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مَا، أَوْ بِطَاعَةٍ لِلَّهِ غَيْرِ وَاجِبَةٍ

=

٣١: ٢، رَقْمُ ٦٧٠١)، وَمُسْلِمٌ فِي (النَّذْرِ، ٤: ١، رَقْمُ ١٦٤٢)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ شَيْخًا يُهَادَىٰ بَيْنَ ابْنَيْهِ، قَالَ: «**مَا بَالُ هَذَا؟**»، قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ**»، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ.

(١) لِمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، ٢٦: ٣، رَقْمُ ٣٣١٣)، مِنْ حَدِيثِ: ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِـ(بُوَانَةَ)، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِـ(بُوَانَةَ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**»، وَالْحَدِيثُ أَصْلُهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٨٧٢).

(٢) لِمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْقَدَرِ، ٦: ١، رَقْمُ ٦٦٠٨)، وَفِي (الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، ٢٦: ٢، رَقْمُ ٦٦٩٣)، وَمُسْلِمٌ فِي (النَّذْرِ، ٢: ١ و٤، رَقْمُ ١٦٣٩)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**».

مَكْرُوهٌ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّهُ مُحَرَّمٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**»(١).

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِذَا نَذَرَ الْإِنْسَانُ طَاعَةً لِلَّهِ وَجَبَ عَلَيْهِ فِعْلُهَا؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ**»(٢).

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ النَّذْرَ يُطْلَقُ عَلَىٰ الْعِبَادَاتِ الْمَفْرُوضَةِ عُمُومًا، وَيُطْلَقُ عَلَىٰ النَّذْرِ الْخَاصِّ؛ وَهُوَ إِلْزَامُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ لِلَّهِ ﷻ.(*).

اجْتَهِدُوا فِي تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ!

عِبَادَ اللهِ! عَلَيْنَا أَنْ نَجْتَهِدَ فِي تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَخْبَرَنَا كَمَا فِي «التِّرْمِذِيِّ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: «**يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ أَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(٤).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (النُّذُورِ، ٢٦: ٢، رَقْمُ ٦٦٩٣) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (النُّذُورِ، ٢: ٣، رَقْمُ ١٦٣٩)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (النُّذُورِ، ٢٨، رَقْمُ ٦٦٩٦) فِيهِ أَيْضًا (٣١: ١، رَقْمُ ٦٧٠٠)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِين رحمه الله» مِنَ (الْمُحَاضَرَةِ الرَّابِعَةِ) إِلَىٰ (الْمُحَاضَرَةِ السَّادِسَةِ) - السَّبْتُ ٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ١٦-٢-٢٠٠٨م.

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٤٠) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَأَحْمَدُ (١٣٤٩٣) مُخْتَصَرًا بِمَعْنَاهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (٣٥٤٠).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فَعَلَيْنَا أَنْ نَجْتَهِدَ فِي تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ؛ أَلَّا نُقَدِّمَ عَلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَحَبَّةً، وَلَا عَلَىٰ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خَوْفًا، وَلَا نَجْعَلَ الرَّجَاءَ مَوْصُولًا إِلَّا بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَأَنْ نُنَزِّهَ أَلْسِنَتَنَا مِنَ الشِّرْكِ؛ فَلَا نَحْلِفُ إِلَّا بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَا نُقْسِمُ إِلَّا بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنَ النَّذْرِ إِلَّا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ.

لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا نَخَافُ إِلَّا مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا نَصْرِفُ شَيْئًا مِنْ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ لِغَيْرِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَأْتِ بِهَذَا الْأَصْلِ كَانَ مُشْرِكًا، وَإِذَا أَشْرَكَ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَإِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يَغْفِرُ لَهُ مَا أَشْرَكَ بِهِ فِي حَقِّ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَقَصَّرَ بِهِ -يَعْنِي: بِالشِّرْكِ- فِي حَقِّ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَحِينَئِذٍ لَا بُدَّ مِنَ الْعِقَابِ بِالنَّارِ.

نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَأَنْ يُقِيمَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا جَمِيعَهَا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْقَصْدِ وَالْفِعْلِ وَالْعَمَلِ؛ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَرْزُقَنَا الْإِخْلَاصَ، وَأَنْ يُعِيذَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مَقْطَعٌ بِعُنْوَان: «كَلَامٌ مِنَ الْقَلْبِ عَنِ التَّوْحِيدِ».

الْخُطْبَةُ الثَّالِثَةُ:

مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ:

مَرْتَبَةُ الْإِسْلَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

نِعْمَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ

فَإِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ هُوَ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عِمْرَانَ: ٨٥].

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ اصْطَفَاكُمْ لَمَّا اخْتَارَ لَكُمْ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ، فَهَذِهِ النِّعْمَةُ هِيَ أَعْظَمُ نِعَمِ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ؛ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَفْهَمُوا دِينَ رَبِّكُمْ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَدْعُوا إِلَيْهِ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَصْبِرُوا عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَلَّقَ الْفَلَاحَ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [الْعَصْر: ١-٣].

فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ مِنَ الْإِيمَانِ بِوُجُودِهِ، وَمِنَ الْإِيمَانِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَمِنَ الْإِيمَانِ بِأُلُوهِيَّتِهِ، وَمِنَ الْإِيمَانِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا بُدَّ مَعَ هَذَا مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لِأَنَّهُ لَا إِيمَانَ بِدُونِ عَمَلٍ.

إِنَّ الْإِيمَانَ الْحَقَّ هُوَ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقَهُ اللِّسَانُ، وَقَامَتِ الْجَوَارِحُ بِمَا أَلْزَمَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ؛ فَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ: عَقْدُ الْقَلْبِ، وَنُطْقُ اللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ هُوَ أَعْظَمُ دِينٍ، هُوَ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، هُوَ الدِّينُ الَّذِي خَلَقَ اللهُ لِأَجْلِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَقَامَتْ بِسَبَبِهِ مَعْرَكَةُ الْجِهَادِ بَيْنَ جُنْدِ الرَّحْمَنِ وَجُنْدِ الشَّيْطَانِ.

وَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ أَعْظَمُ مِنَّةٍ مَنَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهَا عَلَىٰ عَبْدٍ، الدِّينُ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، يَأْمُرُ بِالْبِرِّ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْعُقُوقِ، يَأْمُرُ بِالْأَمَانَةِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْخِيَانَةِ، يَأْمُرُ بِالصِّلَةِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْقَطِيعَةِ، يَأْمُرُ بِالِائْتِلَافِ، وَيَنْهَىٰ عَنْ الِاخْتِلَافِ.

هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَأْمُرُ بِالتَّوْحِيدِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الشِّرْكِ، يَأْمُرُ بِالسُّنَّةِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ البِدْعَةِ، يَأْمُرُ بِالْحَقِيقَةِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْخُرَافَةِ، هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِي رَضِيَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لَنَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ.

إِنَّ أَعْظَمَ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا عَلَىٰ عَبْدٍ قَطُّ هِيَ نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ فَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ.(*).

الْأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ

الْأَصْلُ الثَّانِي مِنَ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَهَذَا الْأَصْلُ الثَّانِي هُوَ الْإِجَابَةُ عَنِ السُّؤَالِ الثَّانِي فِي الْقَبْرِ: «**مَا دِينُكَ؟**» دِينِي الْإِسْلَامُ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ عَالِمًا بِهِ، مُحِيطًا بِأَبْعَادِهِ، فَاهِمًا لِمَرَامِيهِ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ آتِيًا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ للهِ فِيهِ؛ وَإِلَّا فَإِنَّهُ يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاءَ، وَيَحْسَبُ نَفْسَهُ آتِيًا بِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مِنْهُ بِمَبْعَدَةٍ.

«وَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ الدِّينُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَجَعَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَاتَمَ الْأَدْيَانِ، وَأَكْمَلَهُ لِعِبَادِهِ، وَأَتَمَّ بِهِ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «خُطْبَةُ عِيدِ الْفِطْرِ: حَقِيقَةُ الدِّينِ» - الِاثْنَيْنِ ١ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٥هـ| ٢٨-٧-٢٠١٤م.

(٢) «نُبْذَةٌ فِي الْعَقِيدَةِ - مَجْمُوعُ فَتَاوَىٰ وَرَسَائِلِ الْعُثَيْمِينِ» (٥/ ٩٩)، «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١٠٣).

مَعْنَى الْإِسْلَامِ

الْإِسْلَامُ هُوَ: «الِاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالِانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ».

- «**الِاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ**» أَيْ: بِأَنْ يَسْتَسْلِمَ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ اسْتِسْلَامًا شَرْعِيًّا؛ وَذَلِكَ بِتَوْحِيدِ اللهِ ﷻ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَهَذَا الْإِسْلَامُ هُوَ الَّذِي يُحْمَدُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، وَيُثَابُ عَلَيْهِ.

أَمَّا الِاسْتِسْلَامُ الْقَدَرِيُّ فَلَا ثَوَابَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا حِيلَةَ لِلْإِنْسَانِ فِيهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ** ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣].

وَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ مَرْبُوبٌ مَقْهُورٌ، عَبْدٌ مُذَلَّلٌ مُسَخَّرٌ؛ فَالْعَبْدُ بِالْمَعْنَىٰ الْكَوْنِيِّ الْقَدَرِيِّ لَا يُمْدَحُ وَلَا يُذَمُّ، الْكُلُّ مُسْتَسْلِمٌ.

وَإِنَّمَا الَّذِي يُمْدَحُ هُوَ الْعَبْدُ بِالْمَعْنَىٰ الشَّرْعِيِّ الَّذِي يُوَحِّدُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَصْرِفُ الْعِبَادَةَ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

- «**وَالِانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ**»: وَذَلِكَ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ؛ لِأَنَّ الطَّاعَةَ طَاعَةٌ فِي الْأَمْرِ بِفِعْلِهِ وَطَاعَةٌ فِي النَّهْيِ بِتَرْكِهِ.

- «**وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**» أَيْ: أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَيَتَخَلَّىٰ مِنْهُ، وَلَا يُشْرِكُ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَيْئًا، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ الْبَرَاءَةَ مِنْ أَهْلِهِ؛ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنَ الشِّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ،

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وَهَذِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا بَعْضُ النَّاسِ، أَوْ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا إِلَّا بَعْضُ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَسْلِمًا اسْتِسْلَامًا شَرْعِيًّا، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا لِلْأَوَامِرِ، وَمُجْتَنِبًا لِلنَّوَاهِي؛ وَلَكِنَّهُ يَغْفُلُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الثَّالِثِ، وَهُوَ عَظِيمُ الْخَطَرِ جِدًّا؛ وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ.

مَرَاتِبُ الدِّينِ

الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَهِيَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ.

دَلِيلُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه حِينَ جَاءَ جِبْرِيلُ يَسْأَلُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ، وَبَيَّنَ لَهُ ﷺ ذَلِكَ، وَقَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١).

أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ وَأَدِلَّتُهَا

أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: دَلِيلُ ذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»(١).

«وَالْمُرَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ الْإِسْلَامَ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ هَذِهِ الْخَمْسِ، فَهِيَ كَأَرْكَانِ وَدَعَائِمِ الْبُنْيَانِ، وَالْمَقْصُودُ تَمْثِيلُ الْإِسْلَامِ بِبُنْيَانٍ، وَدَعَائِمُ الْبُنْيَانِ هَذِهِ الْخَمْسُ، لَا يَثْبُتُ الْبُنْيَانُ بِدُونِهَا، وَبَقِيَّةُ الْخِصَالِ هِيَ كَالتَّتِمَّةِ لِلْبُنْيَانِ»(٢).

*** شَهَادَةُ أَنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» رُكْنٌ وَاحِدٌ،** وَإِنَّمَا كَانَتَا رُكْنًا وَاحِدًا مَعَ أَنَّهُمَا مِنْ شِقَّيْنِ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَاتِ تَنْبَنِي عَلَىٰ تَحْقِيقِهِمَا مَعًا، فَلَا تُقْبَلُ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ ﷻ، وَهُوَ مَا تَتَضَمَّنُهُ شَهَادَةُ أَنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ مَا تَتَضَمَّنُهُ شَهَادَةُ أَنَّ «مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ».

وَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا إِذَا كَانَ خَالِصًا، وَكَانَ صَوَابًا.

دَلِيلُ شَهَادَةِ أَنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٢، رَقْمُ ٨)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٥: ٤، رَقْمُ ١٦)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ - شَرْحُ الْحَدِيثِ الثَّالِثِ» لِابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ (١/ ١٤٥، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ).

«(**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**) اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ، فَالشَّهَادَةُ شَهَادَةُ أَنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» لَهَا رُكْنَانِ:

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: النَّفْيُ: «**لَا إِلَهَ**».

وَالرُّكْنُ الثَّانِي: الْإِثْبَاتُ: «**إِلَّا اللهُ**».

فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَهَا رُكْنَانِ؛ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، كَمَا أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تَفَرَّدَ فِي مُلْكِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يُفْرَدَ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: شَهَادَةُ اللهِ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَشَهَادَةُ الْمَلَائِكَةِ، وَشَهَادَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ -تَعَالَىٰ- قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، أَيِ: الْعَدْلِ، ثُمَّ قَرَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ؛ حَيْثُ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ شُهَدَاءُ مَعَهُ وَمَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْمُرَادُ بِهِمْ: أُولُو الْعِلْمِ بِشَرِيعَتِهِ، وَيَدْخُلُ فِيهِمْ دُخُولًا أَوَّلِيًّا رُسُلُهُ الْكِرَامُ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ حَقًّا، وَهُمُ الَّذِينَ أَدَّوُا الْوَحْيَ الْمَعْصُومَ إِلَىٰ أُمَمِهِمْ حَتَّىٰ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

هَذِهِ الشَّهَادَةُ أَعْظَمُ شَهَادَةٍ؛ لِعِظَمِ الشَّاهِدِ وَالْمَشْهُودِ بِهِ، فَالشَّاهِدُ هُوَ اللهُ، وَمَلَائِكَتُهُ، وَأُولُو الْعِلْمِ، وَالْمَشْهُودُ بِهِ تَوْحِيدُ اللهِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ: حَصْرُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

فَلَهُ الْخَلْقُ، وَلَهُ الْأَمْرُ الْكَوْنِيُّ وَالشَّرْعِيُّ.

الْأَمْرُ الْكَوْنِيُّ: يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ بِمَا يَشَاءُ، كَيْفَمَا يَشَاءُ، وَقْتَمَا يَشَاءُ، عَلَىٰ الصُّورَةِ الَّتِي يُرِيدُ، فَهَذَا تَصْرِيفٌ كَوْنِيٌّ قَدَرِيٌّ.

وَيُنَزِّلُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَا يشَاءُ، وَهَذَا هُوَ التَّقْدِيرُ الشَّرْعِيُّ.

فَاللهُ ﷻ لَهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ شَرْعًا وَقَدَرًا.

وَمَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

فَشَهَادَةُ أَنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: أَنْ يَعْتَرِفَ الْإِنْسَانُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ بِأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللهُ ﷻ؛ لِأَنَّ (إِلَهَ) بِمَعْنَىٰ: مَأْلُوه، وَالتَّأَلُّهُ: التَّعَبُّدُ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

«﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ يَعْنِي: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا آلِهَةً، وَعَبَدْتُمُوهَا مِنْ دُونِ اللهِ[1].

وَإِبْرَاهِيمُ هُوَ الْخَلِيلُ، إِمَامُ الْحُنَفَاءِ، وَأَفْضَلُ الرُّسُلِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾، فَهَذَا هُوَ النَّفْيُ، يُوَافِي (لَا إِلَهَ)، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ يُوَافِي (إِلَّا اللهُ)، وَهَذَا هُوَ الْإِثْبَاتُ.

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١١٢).

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾: سَيَدُلُّنِي عَلَىٰ الْحَقِّ، وَيُوَفِّقُنِي لَهُ، وَيُثَبِّتُنِي عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ﴾ أَيْ: وَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ الْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَىٰ اللهِ، ﴿بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ فِي ذُرِّيَّتِهِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾: لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ مِنَ الشِّرْكِ إِلَىٰ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.

وَفِي الْآيَةِ: وُجُوبُ الْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ.

وَفِي الْآيَةِ: فَضِيلَةُ مَنْ يُوَرِّثُ أَوْلَادَهُ هُدًىٰ وَصَلَاحًا، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُرَبِّيَ أَوْلَادَهُ، وَيُوَرِّثَهُمُ الْهُدَىٰ وَالصَّلَاحَ؛ فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ جَعَلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ.

وَفِيهَا: دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مِنَ الْكَمَالِ الْعَقْلِيِّ وَالْإِدْرَاكِ السَّلِيمِ أَنْ يَتَّبِعَ الْمَرْءُ الْهُدَىٰ وَلَوْ خَالَفَهُ أَهْلُهُ، وَلَوْ خَالَفَ قَوْمَهُ، وَلَوْ خَالَفَ جَمِيعَ أَهْلِ بَلَدِهِ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّبِعَ الْهُدَىٰ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ(١).

وَآيَةٌ أُخْرَىٰ فِي تَفْسِيرِ الشَّهَادَةِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ لِمُنَاظَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ: الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ.

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١١٣).

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا﴾ أَيْ: هَلُمُّوا وَأَقْبِلُوا ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أَيْ: إِلَىٰ كَلِمَةٍ عَادِلَةٍ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ كَمَا بَيَّنَهَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ هَذَا نَفْيٌ ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هَذَا إِثْبَاتٌ(١).

وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْمَأْمُونُ ﷺ؛ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: لَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ﷻ؛ بِحَيْثُ يُعَظِّمُ بَعْضُنَا بَعْضًا كَمَا يُعَظَّمُ اللهُ ﷻ، وَيُعْبَدُ كَمَا يُعْبَدُ اللهُ، وَيُجْعَلُ الْحُكْمُ لِغَيْرِهِ.

وَهَذَا مِنْ مُقْتَضَيَاتِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، وحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ(٢).

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: فَإِنْ أَعْرَضُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَةَ التَّوْحِيدِ وَأَعْرَضُوا عَمَّا

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١١٤).

(٢) أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» فِي (التَّفْسِيرِ، ١٠: ١٣، رَقْمُ ٣٠٩٥)، مِنْ حَدِيثِ: عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «**يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ**»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ (بَرَاءَةٌ): ﴿ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**»، وَحَسَّنَهُ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣٢٩٣).

دَعَوْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْخَيْرِ ﴿فَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾: فَأَعْلِنُوا لَهُمْ وَأَشْهِدُوهُمْ أَنَّكُمْ مُسْلِمُونَ لِلَّهِ، بَرِيئُونَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِنَادِ وَالتَّوَلِّي عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَلَهَا شُرُوطٌ:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعْ ... مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولِ لَهَا
وَزِيدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ بِمَا ... مَعَ الْإِلَهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ قَدْ أُلِهَا

فَهَذَا زَادَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ(١).

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ «مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: مِنَ الْبَشَرِ، وَلَمْ يُرْسِلْ إِلَيْكُمْ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَلَكًا رَسُولًا، وَهُوَ ﷺ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يَعْنِي: شَدِيدٌ عَلَيْهِ شَاقٌّ عَلَيْهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْكُمْ، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: مِنَ الرَّأْفَةِ، مِنَ اللِّينِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ ﴿رَّحِيمٌ﴾: فَلَيْسَ بِغَلِيظٍ، وَلَا فَظٍّ، وَلَا

(١) ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ فِي «فَتَاوَىٰ نُورٍ عَلَى الدَّرْبِ» (١/ ٤٥) جَمْعُ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ الشُّوَيْعِرِ، وَقَالَ: «قَالَهُ شَيْخُنَا الشَّيْخُ سَعْدُ بْنُ حَمَدِ بْنِ عَتِيقٍ رَحِمَهُ اللهُ»، وَكَذَا نَسَبَهُ الشَّيْخُ الْفَوْزَانُ فِي «شَرْحِ رِسَالَةِ تَفْسِيرِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، ضِمْنَ سِلْسِلَةِ شَرْحِ رَسَائِلِ الْإِمَامِ» جَمْعُ عَبْدِ السَّلَامِ السُّلَيْمَانِ (ص ١٤٢، دَارُ الْفُرْقَانِ - الْقَاهِرَةُ).

صَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ ﷺ.

وَهَذِهِ الْأَوْصَافُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، كَمَا دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ «مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»: أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقًّا وَصِدْقًا بِقَلْبِكَ، وَأَنْ تَنْطِقَ بِلِسَانِكَ، وَأَنْ تُطِيعَ بِجَوَارِحِكَ.

فَإِذَنْ؛ لَا بُدَّ مِنَ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ.

مَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ «مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

- **«طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ»**: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

- **«تَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ»**: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤].

- **«وَاجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ»**: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

- **«وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ»** ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**(١) يَعْنِي: فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْأَقْضِيَةِ، ٨: ٢، رَقْمُ ١٧١٨)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

فَالْعِبَادَةُ تَوْقِيفِيَّةٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْأَرْبَعَةِ؛ لَا بُدَّ مِنَ الطَّاعَةِ عِنْدَ الْأَمْرِ، وَالتَّصْدِيقِ عِنْدَ الْإِخْبَارِ، وَلَا بُدَّ مِنَ اجْتِنَابِ مَا نَهَىٰ عَنْهُ ﷺ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ نَبِيُّهُ ﷺ، يَعْنِي: مَا بَلَّغَهُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَمُقْتَضَىٰ هَذِهِ الشَّهَادَةِ -أَيْضًا-: أَلَّا تَعْتَقِدَ أَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَقًّا فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَتَصْرِيفِ الْكَوْنِ، أَوْ حَقًّا فِي الْعِبَادَةِ، بَلْ هُوَ ﷺ عَبْدٌ لَا يُعْبَدُ، وَرَسُولٌ لَا يَكْذِبُ، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ شَيْئًا مِنَ النَّفْعِ أَوِ الضُّرِّ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فَهُوَ عَبْدٌ مَأْمُورٌ يَتَّبِعُ مَا أُمِرَ بِهِ ﷺ.

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾**﴾ [الجن: ٢١-٢٢].

فَالرَّسُولُ ﷺ أَمَرَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُبَلِّغَ الْعَالَمِينَ أَنَّهُ ﷺ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا؛ فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، وَمِنَ الْمَقْبُورِينَ، وَمِنَ الصَّالِحِينَ؟!!

إِذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَالَ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ: ﴿**قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ**﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فَنَفَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ عِلْمَ الْغَيْبِ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُ؟!!

وَلَا أَحَدَ يُسَامِتُ الرَّسُولَ، وَلَا يُدَانِيهِ ﷺ؛ فَالْكُلُّ دُونَهُ.

فَإِذَا كَانَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُقَرِّرُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ ﷺ؛ فَكَيْفَ يَدَّعِي عِلْمَ الْغَيْبِ مَنْ دُونَهُ؟!!

وَبِهَذَا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ لَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَا مَنْ دُونَهُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَيْسَتْ إِلَّا لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- وَحْدَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

النُّسُكُ بِالْمَعْنَىٰ الْعَامِّ: هُوَ الْعِبَادَةُ، **وَبِالْمَعْنَىٰ الْخَاصِّ النُّسُكُ**: هُوَ الذَّبْحُ(١).

وَتُؤْمِنُ أَنَّ حَقَّهُ ﷺ أَنْ تُنْزِلَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- إِيَّاهَا، وَهِيَ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

(١) «لِسَانُ الْعَرَبِ» (١٠/ ٤٩٨).

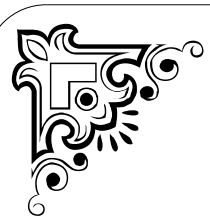

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

*** فَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْلِصًا لِلَّهِ ﷻ، حَنِيفًا مُتَّبِعًا لِلشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ.

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾: هَذَا مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَىٰ الْعَامِّ، لِأَنَّ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ مِنَ الْعِبَادَةِ؛ وَلَكِنَّهُ ﷻ نَصَّ عَلَيْهِمَا لِمَا لَهُمَا مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ، فَالصَّلَاةُ عِبَادَةُ الْبَدَنِ، وَالزَّكَاةُ عِبَادَةُ الْمَالِ، وَهُمَا قَرِينَتَانِ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ يَعْنِي: الَّذِي ذُكِرَ قَبْلُ ﴿دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ يَعْنِي: دِينُ الْمِلَّةِ الْقَيِّمَةِ الَّتِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهَا؛ لِأَنَّهَا دِينُ اللهِ ﷻ، وَدِينُ اللهِ مُسْتَقِيمٌ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ كَمَا تَضَمَّنَتْ ذِكْرَ الْعِبَادَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ؛ فَقَدْ تَضَمَّنَتْ حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ، وَأَنَّهُ الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ ﷻ مِنْ غَيْرِ مَيْلٍ إِلَىٰ الشِّرْكِ، فَمَنْ لَمْ يُخْلِصْ لِلَّهِ لَمْ يَكُنْ مُوَحِّدًا، وَمَنْ جَعَلَ عِبَادَتَهُ لِغَيْرِ اللهِ لَمْ يَكُنْ مُوَحِّدًا.

* **وَدَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة:١٨٣].

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾ أَيْ: فُرِضَ عَلَيْكُمُ ﴿ٱلصِّيَامُ﴾، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾: بَيَانٌ لِلْحِكْمَةِ مِنَ الصِّيَامِ.

* **وَدَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَبِهَا كَانَتْ فَرِيضَةُ الْحَجِّ؛ وَلَكِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾؛ فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلَا حَجَّ عَلَيْهِ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾: دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ تَرْكَ الْحَجِّ مِمَّنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا يَكُونُ فِعْلُهُ كُفْرًا؛ وَلَكِنَّهُ كُفْرٌ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ -عَلَىٰ قَوْلِ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ-؛ لِقَوْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ[1]: «**كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ**»[2]. (*).

---

(١) هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَقِيقٍ، الْعُقَيْلِيُّ، بَصْرِيٌّ، ثِقَةٌ، مِنَ الْوُسْطَىٰ مِنَ التَّابِعِينَ، مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِئَةٍ، انْظُرْ: «تَهْذِيبَ الْكَمَالِ» (٣٣٣٣)، وَ«التَّقْرِيبَ» (٣٣٨٥).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٩: ٥، رَقْمُ ٢٦٢٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٥٧٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ» مِنَ (الْمُحَاضَرَةِ =

التَّوْحِيدُ حَيَاتُكُمْ.. فَرِّغُوا لَهُ بَعْضَ أَوْقَاتِكُمْ!

عِبَادَ اللهِ! يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُفَرِّغَ قَلِيلًا مِنْ وَقْتِنَا، لَا أَقُولُ: فَرِّغُوا أَوْقَاتَكُمْ كُلَّهَا لِهَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ؛ لِأَنَّ بِهِ حَيَاتَكُمْ، وَأَنْتُمْ إِذَا لَمْ تُتْقِنُوهُ وَتُحْسِنُوهُ، وَتَقُومُوا بِهِ، وَتَمُوتُوا عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْأَبْعَدَ -حِينَئِذٍ- يَدْخُلُ النَّارَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا.

قَدْ يُشْرِكُ الرَّجُلُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ!

وَقَدْ يُشْرِكُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ؛ وَلَكِنَّهُ مُكَابِرٌ، يَقُولُ: هَذَا لَيْسَ بِشِرْكٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتْبَعُ النُّصُوصَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ.

هَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ!

هُوَ أَمْرٌ لَا أَكْبَرَ مِنْهُ!

هُوَ حَيَاتُكَ؛ لِأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ الْحَيَوَانُ، هَذِهِ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِحَيَاةٍ حَقِيقِيَّةٍ، هَذِهِ كَالْخَيَالِ، نَحْنُ نُوجَدُ نُبْتَلَىٰ.. نُمْتَحَنُ، ثُمَّ نَمُوتُ؛ لِنُقْدِمَ عَلَىٰ الْحَيَاةِ الْحَقَّةِ، عَلَىٰ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ.

هَذِهِ زَائِلَةٌ؛ لَهْوٌ وَلَعِبٌ، وَعَبَثٌ وَضَيَاعٌ، وَتَفَاخُرٌ وَتَكَاثُرٌ، ثُمَّ يَنْقَضِي الْخَيَالُ، وَتَأْتِي الْحَقِيقَةُ.

=

السَّابِعَةِ) إِلَىٰ (الْمُحَاضَرَةِ الثَّامِنَةِ)- الِاثْنَيْنِ ١١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ١٨-٢-٢٠٠٨م.

فَحَيَاتُكَ الْأُخْرَىٰ هِيَ الْحَيَاةُ الْبَاقِيَةُ ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤]

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٤]، وَالَّتِي كُنْتَ فِيهَا هُنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ حَيَاةً؟!!

نَعَمْ، لَمْ تَكُنْ حَيَاةً، كَانَتْ دَارَ ابْتِلَاءٍ، هَذِهِ قَنْطَرَةٌ مِنْ وُجُودِكَ إِلَىٰ مَوْتِكَ، ثُمَّ تَدْخُلُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْبَرْزَخِ، فَتُحْبَسُ فِيهِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، ثُمَّ تُبْعَثُ لِتُسْأَلَ، ثُمَّ إِلَىٰ الْجَنَّةِ أَوْ إِلَىٰ النَّارِ، لَيْسَتْ هُنَالِكَ دَارٌ ثَالِثَةٌ.(*).

نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُطَهِّرَنَا مِنَ الشِّرْكِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْإِنَابَةَ وَالْإِخْلَاصَ وَالتَّوْحِيدَ وَتَحْقِيقَهُ، وَالْإِقَامَةَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَنْ يَقْبِضَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ أَهْلِهِ خَلْفَ إِمَامِ الْمُوَحِّدِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*/٢).

❊❊❊

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «هَلْ تَعْرِفُ الْإِسْلَامَ حَقًّا؟!!» - الِاثْنَيْنِ ١١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ| ٢٣-١١-٢٠١٥م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ» (الْمُحَاضَرَةِ السَّابِعَةِ) - الِاثْنَيْنِ ١١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ١٨-٢-٢٠٠٨م.

الْخُطْبَةُ الرَّابِعَةُ:

مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ:

الْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

نِعْمَةُ الْإِيمَانِ

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي غَرَسَ شَجَرَةَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الْأَخْيَارِ، وَسَقَاهَا وَغَذَّاهَا بِالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْمَعَارِفِ الصَّادِقَةِ، وَاللَّهَجِ بِذِكْرِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَجَعَلَهَا تُؤْتِي أُكُلَهَا وَبَرَكَتَهَا كُلَّ حِينٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالنِّعَمِ الْغِزَارِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ التَّوْضِيحِ وَالْبَيَانِ لِشَجَرَةِ الْإِيمَانِ لِلْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» =

إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ أَجَلُّ نِعَمِ اللهِ عَلَى الْعَبْدِ؛ حَيْثُ يَقُولُ ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات: ٧-٨].

وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ، وَحَسَّنَهُ وَقَرَّبَهُ مِنْكُمْ، وَأَدْخَلَهُ فِي قُلُوبِكُمْ حَتَّىٰ اخْتَرْتُمُوهُ، وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ بِاللهِ، وَالْخُرُوجَ عَنْ طَاعَتِهِ مِمَّا يَدْخُلُ فِي كَبَائِرِ الْإِثْمِ، وَالْمَعَاصِي الَّتِي لَا تَتَجَاوَزُ حُدُودَ الصَّغَائِرِ؛ أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُحَبَّبُ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانُ، الْمُزَيَّنُ فِي قُلُوبِهِمْ هُمُ الْمُهْتَدُونَ إِلَىٰ مَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَهَذَا الْخَيْرُ الَّذِي حَصَلَ لَكُمْ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً عَلَيْكُمْ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِكُمْ وَبِمَا فِي قُلُوبِكُمْ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِ أُمُورِ خَلْقِهِ.(*).

هَذِهِ أَكْبَرُ الْمِنَنِ: أَنْ يُحَبِّبَ الْإِيمَانَ لِلْعَبْدِ، وَيُزَيِّنَهُ فِي قَلْبِهِ، وَيُذِيقَهُ حَلَاوَتَهُ، وَتَنْقَادَ جَوَارِحُهُ لِلْعَمَلِ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَيُبَغِّضَ اللهُ إِلَيْهِ أَصْنَافَ الْمُحَرَّمَاتِ.(*/٢).

=

(الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ)، السَّبْتُ ٥ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٩-١١-٢٠١٣م.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الحجرات: ٧-٨].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ التَّوْضِيحِ وَالْبَيَانِ لِشَجَرَةِ الْإِيمَانِ لِلْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ» (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ)، السَّبْتُ ٥ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٩-١١-٢٠١٣م.

مَعْنَى الْإِيمَانِ وَأَرْكَانُهُ

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الدِّينِ: الْإِيمَانُ، وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا: قَوْلُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(١).

الْإِيمَانُ فِي اللُّغَةِ: الْإِقْرَارُ بِالشَّيْءِ عَنْ تَصْدِيقٍ بِهِ.

فَالْإِيمَانُ لَيْسَ مُجَرَّدَ التَّصْدِيقِ، بَلْ هُوَ إِقْرَارٌ وَاعْتِرَافٌ يَسْتَلْزِمُ الْقَبُولَ لِلْأَخْبَارِ، وَالتَّصْدِيقَ بِهَا، وَيَسْتَلْزِمُ -أَيْضًا- الْإِذْعَانَ وَالِامْتِثَالَ لِلْأَحْكَامِ.

وَفِي الشَّرْعِ: «اعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ».

وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً.

الْإِيمَانُ: اعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَيَتَفَاضَلُ أَهْلُهُ فِيهِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ، وَيَنْقُصُ بِالسَّيِّئَاتِ وَالْمَعْصِيَاتِ(٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٣، رَقْمُ ٩)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ١٢: ١، وَ٢، رَقْمُ ٣٥)، وَاللَّفْظُ لَهُ، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً**»، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ بِالشَّكِّ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً**».

(٢) اسْمُ «الْإِيمَانِ» تَارَةً يُذْكَرُ مُفْرَدًا غَيْرَ مَقْرُونٍ بِاسْمِ «الْإِسْلَامِ»، وَلَا بِاسْمِ «الْعَمَلِ الصَّالِحِ» وَلَا غَيْرِهِمَا، وَتَارَةً يُذْكَرُ مَقْرُونًا؛ إِمَّا بِـ «الْإِسْلَامِ»، وَالِاسْمُ الْوَاحِدُ قَدْ تَخْتَلِفُ دِلَالَتُهُ: بِالْإِفْرَادِ، وَالِاقْتِرَانِ، فَيَكُونُ عِنْدَ الْإِفْرَادِ فِيهِ عُمُومٌ لِمَعْنَيَيْنِ، وَعِنْدَ الِاقْتِرَانِ لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَىٰ أَحَدِهِمَا.

=

وَالْجَمْعُ بَيْنَ أَنَّ الْإِيمَانَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَأَنَّ الْإِيمَانَ أَرْكَانُهُ سِتَّةٌ؛ أَنْ نَقُولَ: الْإِيمَانُ الَّذِي هُوَ الْعَقِيدَةُ أُصُولُهُ سِتَّةٌ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ

=

فَإِذَا قُيِّدَ الْإِيمَانُ فَقُرِنَ بِـ«الْإِسْلَامِ» أَوْ بِـ«الْعَمَلِ الصَّالِحِ»، فَإِنَّهُ يُرَادُ بِهِ: **قَوْلُ الْقَلْبِ وَعَمَلُهُ،** بِاتِّفَاقِ النَّاسِ، وَهُوَ **إِقْرَارٌ بِالتَّصْدِيقِ وَالْحُبِّ وَالِانْقِيَادِ،** وَمَا كَانَ فِي الْقَلْبِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ مُوجِبُهُ وَمُقْتَضَاهُ عَلَىٰ الْجَوَارِحِ، فَيَكُونُ «الْإِسْلَامُ» الَّذِي هُوَ فِي الْأَصْلِ مِنْ بَابِ الْعَمَلِ: عَمَلَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ، وَمُوجِبَاتِهِ، وَدَلَائِلِهِ، فَيُقَالُ حِينَئِذٍ: إِنَّ «الْإِيمَانَ» هُوَ: **الْإِقْرَارُ الْقَلْبِيُّ، الْمُسْتَلْزِمُ لِعَمَلِ الْجَوَارِحِ؛** فَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الدِّينَ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ: أَعْلَاهَا «الْإِحْسَانُ»، وَأَوْسَطُهَا «الْإِيمَانُ»، وَيَلِيهِ «الْإِسْلَامُ»، فَكُلُّ مُحْسِنٍ مُؤْمِنٌ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مُؤْمِنٍ مُحْسِنًا، وَلَا كُلُّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنًا، وَهَكَذَا فِي سَائِرِ كَلَامِهِ ﷺ.

وَإِذَا أُفْرِدَ اسْمُ «الْإِيمَانِ» فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَيَتَنَاوَلُ جَمِيعَ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَىٰ» (٧/ ٤٢، ٥٥٢، ٦٤٢)، وَيَكُونُ «الْإِسْلَامُ» حِينَئِذٍ دَاخِلًا فِي مُسَمَّىٰ «الْإِيمَانِ»، وَجُزْءًا مِنْهُ، كَقَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ الشُّعَبِ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً: أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ**»، الْحَدِيثَ، فَأَفْرَدَ ﷺ لَفْظَ «الْإِيمَانِ» فَدَخَلَ فِيهِ الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ.

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ تُسَمَّىٰ إِسْلَامًا، وَأَنَّهَا تَدْخُلُ تَارَةً فِي مُسَمَّىٰ «الْإِيمَانِ»، وَتَارَةً تَكُونُ لَازِمًا لِمُسَمَّىٰ «الْإِيمَانِ»، بِحَسَبِ إِفْرَادِ الِاسْمِ وَاقْتِرَانِهِ، فَإِذَا قُرِنَ «الْإِيمَانُ» بِـ«الْإِسْلَامِ» كَانَ مُسَمَّىٰ الْإِسْلَامِ خَارِجًا عَنْهُ، كَمَا فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عليه السلام، وَإِنْ كَانَ لَازِمًا لَهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا قُرِنَ «الْإِيمَانُ» بِـ«الْعَمَلِ»، وَأَمَّا إِذَا أُفْرِدَ اسْمُ «الْإِيمَانِ»، دَخَلَ فِيهِ «الْإِسْلَامُ» وَ«الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ»، فَيَتَنَاوَلُ الْبَاطِنَ وَالظَّاهِرَ، وَبِهَذَا تَأْتَلِفُ النُّصُوصُ.

وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي عَامَّةِ الْأَسْمَاءِ؛ يَتَنَوَّعُ مُسَمَّاهَا بِالْإِفْرَادِ وَالِاقْتِرَانِ: كَلَفْظِ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ؛ إِذَا أُفْرِدَ أَحَدُهُمَا تَنَاوَلَ الْآخَرَ، وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا كَانَ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مُسَمًّىٰ يَخُصُّهُ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ، وَلَفْظُ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَهَذَا بَيِّنٌ ظَاهِرٌ لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ، وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ فِي فَائِدَةِ الْجَمْعِ بَيْنَ شُعَبِ الْإِيمَانِ وَأَرْكَانِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

عليه السلام حِينَمَا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: «**الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَأَمَّا الْإِيمَانُ الَّذِي يَشْمَلُ الْأَعْمَالَ، وَأَنْوَاعَهَا، وَأَجْنَاسَهَا؛ فَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً؛ وَلِهَذَا سَمَّى اللهُ تَعَالَىٰ الصَّلَاةَ إِيمَانًا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: يَعْنِي صَلَاتَكُمْ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالتَّوَجُّهِ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ يُصَلُّونَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ(٢).

وَأَرْكَانُ الْإِيمَانِ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

الدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهَذِهِ الْآيَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ خَمْسَةٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وهِيَ: الْإِيمَانُ بِاللهِ، ومَلَائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَوْمِ الْآخِرِ.

ودَلِيلُ الْقَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

هَذِهِ الْآيَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ؛ فَهَذِهِ سِتَّةُ أَرْكَانٍ.

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٣٠، رَقْمُ ٤٠) وَفِي (التَّفْسِيرِ، ٢: ١٢، رَقْمُ ٤٤٨٦)، مِنْ حَدِيثِ: الْبَرَاءِ رضي الله عنه.

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ بِاللهِ

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ بِاللهِ.

مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ: هُوَ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ بِوُجُودِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، الَّذِي لَمْ يُسْبَقْ بِضِدٍّ، وَلَمْ يُعْقَبْ بِهِ.

هُوَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، حَيٌّ قَيُّومٌ، أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

فَتُؤْمِنُ بِوُجُودِهِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ، وَتُوَحِّدُهُ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَبِأُلُوهِيَّتِهِ، وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ(١).

يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانُ بِاللهِ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِوُجُودِ اللهِ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ وُجُودِهِ -تَعَالَىٰ-: الْفِطْرَةُ، وَالْعَقْلُ، وَالشَّرْعُ، وَالْحِسُّ.

أَمَّا دَلَالَةُ الْفِطْرَةِ عَلَىٰ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ قَدْ فُطِرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِخَالِقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ تَفْكِيرٍ أَوْ تَعْلِيمٍ.

---

(١) «أَعْلَامُ السُّنَّةِ الْمَنْشُورَةِ» سُؤَالُ: مَا مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ؟ (ص ١٩، ط الْوَزَارَةِ).

وَأَمَّا دَلَالَةُ الْعَقْلِ عَلَىٰ وُجُودِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ فَلِأَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ سَابِقَهَا وَلَاحِقَهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنْ خَالِقٍ أَوْجَدَهَا؛ إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجِدَ نَفْسَهَا بِنَفْسِهَا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ صُدْفَةً.

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: بِمَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

قَالَ: الْأَثَرُ يَدُلُّ عَلَىٰ الْمَسِيرِ -أَثَرُ السَّيْرِ يَدُلُّ عَلَىٰ الْمَسِيرِ-، وَالْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ الْبَعِيرِ؛ فَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ، وَبِحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ؛ أَلَا يَدُلُّ كُلُّ ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ؟!!

وَأَمَّا دَلَالَةُ الشَّرْعِ عَلَىٰ وُجُودِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ فَلِأَنَّ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ كُلَّهَا تَنْطِقُ بِذَلِكَ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِمَصَالِحِ الْخَلْقِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهَا مِنْ رَبٍّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْكَوْنِيَّةِ الَّتِي شَهِدَ الْوَاقِعُ بِصِدْقِهَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّهَا مِنْ رَبٍّ قَادِرٍ عَلَىٰ إِيجَادِ مَا أَخْبَرَ بِهِ.

وَأَمَّا أَدِلَّةُ الْحِسِّ عَلَىٰ وُجُودِ اللهِ فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّنَا نَسْمَعُ وَنُشَاهِدُ مِنْ إِجَابَةِ الدَّاعِينَ، وَغَوْثِ الْمَكْرُوبِينَ مَا يَدُلُّ دَلَالَةً قَاطِعَةً عَلَىٰ وُجُودِهِ -تَعَالَىٰ-.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي تُسَمَّىٰ (الْمُعْجِزَاتِ)، وَيُشَاهِدُهَا النَّاسُ أَوْ يَسْمَعُونَ بِهَا بُرْهَانٌ قَاطِعٌ عَلَىٰ وُجُودِ مُرْسِلِهِمْ، وَهُوَ اللهُ -تَعَالَىٰ-؛ لِأَنَّهَا أُمُورٌ خَارِجَةٌ عَنْ نِطَاقِ الْبَشَرِ، يُجْرِيهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- تَأْيِيدًا لِرُسُلِهِ وَنَصْرًا لَهُمْ.

الثَّانِي: **الْإِيمَانُ بِرُبُوبِيَّتِهِ**، أَيْ: بِأَنَّهُ وَحْدَهُ الرَّبُّ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مُعِينَ.

وَالرَّبُّ: مَنْ لَهُ الْخَلْقُ، وَالْمُلْكُ، وَالْأَمْرُ؛ فَلَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، وَلَا مَالِكَ إِلَّا هُوَ، وَلَا أَمْرَ إِلَّا لَهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَقَالَ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِأُلُوهِيَّتِهِ، أَيْ: بِأَنَّهُ وَحْدَهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَ(الْإِلَهُ) بِمَعْنَىٰ: الْمَأْلُوه، أَيِ: الْمَعْبُودُ حُبًّا وَتَعْظِيمًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

كُلُّ مَا اتُّخِذَ إِلَهًا مَعَ اللهِ يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ فَأُلُوهِيَّتُهُ بَاطِلَةٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان: ٣٠].

وَلِهَذَا كَانَ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَقُولُونَ لِأَقْوَامِهِمْ: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود: ٨٤]؛ وَلَكِنْ أَبَىٰ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ، وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً يَعْبُدُونَهُمْ مَعَ اللهِ ﷻ، وَيَسْتَنْصِرُونَ بِهِمْ وَيَسْتَغِيثُونَ، وَقَدْ أَبْطَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- اتِّخَاذَ الْمُشْرِكِينَ هَذِهِ الْآلِهَةَ بِبُرْهَانَيْنِ عَقْلِيَّيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذِهِ الْآلِهَةِ الَّتِي اتَّخَذُوهَا شَيْءٌ مِنْ خَصَائِصِ الْأُلُوهِيَّةِ؛ فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لَا تَخْلُقُ، وَلَا تَجْلِبُ نَفْعًا لِعَابِدِيهَا، وَلَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرَرًا، وَلَا تَمْلِكُ لَهُمْ حَيَاةً وَلَا مَوْتًا، وَلَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَلَا يُشَارِكُونَ فِيهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣].

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالَ تِلْكَ الْآلِهَةِ؛ فَإِنَّ اتِّخَاذَهَا آلِهَةً مِنْ أَسْفَهِ السَّفَهِ، وَأَبْطَلِ الْبَاطِلِ.

الثَّانِي: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- وَحْدَهُ الرَّبُّ الْخَالِقُ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يُوَحِّدُوهُ بِالْأُلُوهِيَّةِ كَمَا وَحَّدُوهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ.

الرَّابِعُ: **الْإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ**، أَيْ: إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَىٰ الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

وَالْإِيمَانُ بِاللهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا يُثْمِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً، مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: تَحْقِيقُ تَوْحِيدِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ بِحَيْثُ لَا يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِهِ رَجَاءً وَلَا خَوْفًا، وَلَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ.

الثَّانِيَةُ: كَمَالُ مَحَبَّةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَتَعْظِيمُهُ بِمُقْتَضَىٰ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا.

الثَّالِثَةُ: تَحْقِيقُ عِبَادَتِهِ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَىٰ عَنْهُ.

الرُّكْنُ الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ

الرُّكْنُ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ.

الْمَلَائِكَةُ: عَالَمٌ غَيْبِيٌّ مَخْلُوقُونَ عَابِدُونَ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ-، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ، خَلَقَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ نُورٍ، وَمَنَحَهُمُ الِانْقِيَادَ التَّامَّ لِأَمْرِهِ، وَالْقُوَّةَ عَلَىٰ تَنْفِيذِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

وَهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ -تَعَالَىٰ-، وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[١] **مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **فِي قِصَّةِ الْمِعْرَاجِ:** «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رُفِعَ لَهُ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٦: ١، رَقْمُ ٣٢٠٧)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٤: ١، رَقْمُ ١٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فِي السَّمَاءِ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ».

الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ مَعْنَاهُ: الْإِقْرَارُ الْجَازِمُ بِوُجُودِهِمْ، وَأَنَّهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، مَرْبُوبُونَ مُسَخَّرُونَ، وَعِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ، وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، وَلَا يَسْأَمُونَ وَلَا يَمَلُّونَ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ(١).

وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِوُجُودِهِمْ.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِمَنْ عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ؛ كَجِبْرِيلَ، وَمَنْ لَمْ نَعْلَمِ اسْمَهُ نُؤْمِنُ بِهِمْ إِجْمَالًا؛ كَحَمَلَةِ الْعَرْشِ.

الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِمَا عَلِمْنَا مِنْ صِفَاتِهِمْ؛ كَصِفَةِ جِبْرِيلَ عليه السلام، فَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ رَآهُ عَلَىٰ صِفَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ(٢).

---

(١) «أَعْلَامُ السُّنَّةِ الْمَنْشُورَةِ» س/ مَا مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ؟ (ص ٤١، ط الْوَزَارَةِ).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٧: ٩، رَقْمُ ٣٢٣٢) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٦: ٤، رَقْمُ ١٧٤)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩**﴾ [النجم: ٩]، قَالَ: «**رَأَىٰ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، لَهُ سِتُّمِئَةِ جَنَاحٍ**».

وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٧: ١٢، رَقْمُ ٣٢٣٥) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٧: ٨، رَقْمُ ١٧٧)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها، فِي قَوْلِهِ: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨**﴾ =

وَقَدْ يَتَحَوَّلُ الْمَلَكُ بِأَمْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ- إِلَىٰ هَيْئَةِ رَجُلٍ، كَمَا حَصَلَ لِجِبْرِيلَ حِينَ أَرْسَلَهُ -تَعَالَىٰ- إِلَىٰ مَرْيَمَ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، وَحِينَ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، جَاءَهُ بِصِفَةِ رَجُلٍ شَدِيدِ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدِ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ كَانُوا فِي صُورَةِ رِجَالٍ.

الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِمَا عَلِمْنَا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَقُومُونَ بِهَا بِأَمْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ كَتَسْبِيحِهِ، وَالتَّعَبُّدِ لَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا بِدُونِ مَلَلٍ وَلَا فُتُورٍ.

وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِهِمْ أَعْمَالٌ خَاصَّةٌ.

مِثْلَ: جِبْرِيلَ الْأَمِينِ عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، يُرْسِلُهُ اللهُ بِهِ إِلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ.

وَمِثْلَ: مِيكَائِيلَ الْمُوَكَّلِ بِالْقَطْرِ -أَيْ: بِالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ-.

وَمِثْلَ: إِسْرَافِيلَ الْمُوَكَّلِ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ وَبَعْثِ الْخَلْقِ.

وَمِثْلَ: مَلَكِ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

وَمِثْلَ: مَالِكٍ الْمُوَكَّلِ بِالنَّارِ، وَهُوَ خَازِنُ النَّارِ.

وَمِثْلَ: الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالْأَجِنَّةِ فِي الْأَرْحَامِ، إِذَا تَمَّ لِلْإِنْسَانِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي بَطْنِ أُمِّهِ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا، وَأَمَرَهُ بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ.

= فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ [النجم: ٨-٩]، قَالَتْ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الْأُفُقَ».

وَمِثْلَ: الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِحِفْظِ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ، وَكِتَابَتِهَا لِكُلِّ شَخْصٍ، مَلَكَانِ: أَحَدُهُمَا عَنِ الْيَمِينِ، وَالثَّانِي عَنِ الشِّمَالِ.

وَمِثْلَ: الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِسُؤَالِ الْمَيِّتِ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، يَأْتِيهِ مَلَكَانِ يَسْأَلَانِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ.

وَمِثْلَ: حَمَلَةِ الْعَرْشِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ يُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً، مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ بِعَظَمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَقُوَّتِهِ وَسُلْطَانِهِ؛ فَإِنَّ عَظَمَةَ الْمَخْلُوقِ مِنْ عَظَمَةِ الْخَالِقِ.

الثَّانِيَةُ: شُكْرُ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ عِنَايَتِهِ بِبَنِي آدَمَ؛ حَيْثُ وَكَّلَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ مَنْ يَقُومُ بِحِفْظِهِمْ، وَكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِهِمْ.

الثَّالِثَةُ: مَحَبَّةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَىٰ مَا قَامُوا بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

الرَّابِعَةُ: قَالَ ﷺ: «**إِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ، وَعِنْدَ الْجِمَاعِ؛ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ**»(١).

إِذَا آمَنْتَ بِالْمَلَائِكَةِ، وَآمَنْتَ أَنَّ مَعَكَ مَنْ لَا يُفَارِقُكَ، وَأَنَّهُ يُحْصِي عَلَيْكَ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ، وَيُحْصِي عَلَيْكَ أَلْفَاظَكَ، وَهُوَ مَعَكَ لَا يُفَارِقُكَ إِلَّا عِنْدَ

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي (الْأَدَبِ، ٤٢، رَقْمُ ٢٨٠٠)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الْخَلَاءِ أَوْ عِنْدَ الْجِمَاعِ؛ فَإِنَّكَ تُكْرِمُ الْمَلَائِكَةَ بِأَلَّا تُوَاقِعَ الْمُنْكَرَ، وَأَلَّا تُوَاقِعَ الْمَعْصِيَةَ، وَأَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَلَا تُقَارِفَ مَا يُغْضِبُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الرُّكْنُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ

الرُّكْنُ الثَّالِثُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ.

نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَى- أَنْزَلَ الْكُتُبَ عَلَى رُسُلِهِ، وَأَنَّهَا كَلَامُهُ، وَأَنَّهَا حَقٌّ، وَنُورٌ، وَهُدًى، وَبُرْهَانٌ.

فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَا سَمَّى اللهُ مِنْهَا؛ كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، وَكَالتَّوْرَاةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالزَّبُورِ، وَالْقُرْآنِ، وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَا لَمْ يُسَمَّ مِنْهَا.

وَالْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ نُزُولَهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقًّا.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِمَا عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهَا بِاسْمِهِ؛ كَالْقُرْآنِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالتَّوْرَاةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى ﷺ، وَالْإِنْجِيلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى ﷺ، وَالزَّبُورِ الَّذِي أُوتِيَهُ دَاوُدُ ﷺ، وَأَمَّا مَا لَمْ نَعْلَمِ اسْمَهُ فَنُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا.

الثَّالِثُ: تَصْدِيقُ مَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِهَا؛ كَأَخْبَارِ الْقُرْآنِ، وَأَخْبَارِ مَا لَمْ يُبَدَّلْ أَوْ يُحَرَّفْ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ.

الرَّابِعُ: الْعَمَلُ بِأَحْكَامِ مَا لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا، وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ بِهِ؛ سَوَاءٌ فَهِمْنَا حِكْمَتَهُ أَمْ لَمْ نَفْهَمْهَا، وَجَمِيعُ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مَنْسُوخَةٌ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ،

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] أَيْ: حَاكِمًا عَلَيْهِ.

وَعَلَىٰ هَذَا فَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِأَيِّ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ إِلَّا مَا صَحَّ مِنْهَا وَأَقَرَّهُ الْقُرْآنُ.

وَكُلُّ الَّذِي عِنْدَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا مِنَ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ عِنْدَنَا مِثْلُهُ وَخَيْرٌ مِنْهُ، فَأَغْنَانَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا.

وَالْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ يُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً، مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ بِعِنَايَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ أَنْزَلَ لِكُلِّ قَوْمٍ كِتَابًا يَهْدِيهِمْ بِهِ.

الثَّانِيَةُ: الْعِلْمُ بِحِكْمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِي شَرْعِهِ؛ حَيْثُ شَرَعَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا يُنَاسِبُ أَحْوَالَهُمْ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

الثَّالِثَةُ: شُكْرُ نِعْمَةِ اللهِ فِي ذَلِكَ.

الرُّكْنُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ

الرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ.

«**الرُّسُلُ**: **جَمْعُ رَسُولٍ، وَهُوَ**: مَنْ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ قَوْمٍ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، أَوْ لَمْ يُنْزِلْ عَلَيْهِ كِتَابًا؛ لَكِنْ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ حُكْمًا لَمْ يَكُنْ فِي شَرِيعَةِ مَنْ قَبْلَهُ.

وَأَمَّا النَّبِيُّ فَهُوَ: مَنْ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ شَرِيعَةٍ سَابِقَةٍ دُونَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، أَوْ يُوحِيَ إِلَيْهِ بِحُكْمٍ جَدِيدٍ نَاسِخٍ أَوْ غَيْرِ نَاسِخٍ؛ وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ الْعَكْسُ، وَقِيلَ: هُمَا مُتَرَادِفَانِ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ(١).

وَهَذَا أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ فِيهِ وَأَصَحُّهَا إِنْ شَاءَ اللهُ -تَعَالَىٰ-.

«**الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ**: هُوَ التَّصْدِيقُ بِهِمْ جَمِيعًا، وَأَنَّهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، بَلْ نُؤْمِنُ بِهِمْ جَمِيعًا؛ مَنْ سَمَّىٰ اللهُ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُسَمِّ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾ [النساء: ١٦٤].

وَأَفْضَلُهُمْ: أُولُو الْعَزْمِ، وَهُمْ: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ، ثُمَّ بَقِيَّةُ الرُّسُلِ، ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ، وَأَفْضَلُ الْجَمِيعِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَالْأَدْيَانُ سِوَىٰ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ مَنْسُوخَةٌ كُلُّهَا؛ لَكِنَّ الْإِيمَانَ بِالرُّسُلِ وَأَنَّهُمْ حَقٌّ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ(٢).

وَأَوَّلُ الرُّسُلِ نُوحٌ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ**﴾ [النساء: ١٦٣].

---

(١) «مُذَكِّرَةُ التَّوْحِيدِ» لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي مَعَ شَرْحِ شَيْخِنَا أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيد رَسْلَان (ص ٢٥٠، دَارُ الْفُرْقَانِ الْمِصْرِيَّةِ).

(٢) «شَرْحُ مُذَكِّرَةِ التَّوْحِيدِ» لِشَيْخِنَا أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ- (ص ٦٢ - ٦٣، دَارُ الْفُرْقَانِ الْمِصْرِيَّةِ، الطَّبْعَةُ الْأُولَىٰ).

وَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وَلَمْ تَخْلُ أُمَّةٌ مِنْ رَسُولٍ يَبْعَثُهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِشَرِيعَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ إِلَىٰ قَوْمِهِ، أَوْ نَبِيٍّ يُوحَىٰ إِلَيْهِ بِشَرِيعَةِ مَنْ قَبْلَهُ لِيُجَدِّدَهَا.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤].

وَالرُّسُلُ بَشَرٌ مَخْلُوقُونَ، لَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ.

وَالْجِنُّ لَيْسَ فِيهِمْ رُسُلٌ، بَلْ فِيهِمُ النُّذُرُ.

وَتَلْحَقُ الرُّسُلَ خَصَائِصُ الْبَشَرِيَّةِ؛ مِنَ الْمَرَضِ، وَالْمَوْتِ، وَالْحَاجَةِ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي وَصْفِهِ لِرَبِّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٧٩-٨١].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَىٰ كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الصَّلَاةِ، ٣١: ٣، رَقْمُ ٤٠١)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْمَسَاجِدِ، ١٩: ١٠، رَقْمُ ٥٧٢)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ فِي أَعْلَىٰ مَقَامَاتِهِمْ، وَفِي سِيَاقِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ -تَعَالَىٰ- فِي نُوحٍ ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣]، وَقَالَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

وَلَكِنْ لَا يُدْرِكُهُمْ مَا يَكُونُ مُنَفِّرًا، وَهُمْ مَعْصُومُونَ فَلَا يُوَاقِعُونَ الْمَعَاصِيَ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ-، فَهُمْ مِمَّنِ اخْتَصَّهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَاصْطَفَاهُمْ، وَأَخْلَصَهُمْ لِنَفْسِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ رِسَالَتَهُمْ حَقٌّ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ-، فَمَنْ كَفَرَ بِرِسَالَةِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِالْجَمِيعِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٠٥﴾ [الشعراء: ١٠٥].

فَجَعَلَهُمُ اللهُ مُكَذِّبِينَ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَسُولٌ غَيْرُهُ حِينَ كَذَّبُوهُ.

لِأَنَّهُمْ عِنْدَمَا يُكَذِّبُونَ بِهِ يُكَذِّبُونَ بِالرُّسُلِ كُلِّهِمْ.

وَعَلَىٰ هَذَا فَالنَّصَارَىٰ الَّذِينَ كَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ هُمْ مُكَذِّبُونَ لِلْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، غَيْرُ مُتَّبِعِينَ لَهُ -أَيْضًا-؛ لَا سِيَّمَا وَأَنَّهُ قَدْ بَشَّرَهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِمَنْ عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ؛ مِثْلَ: مُحَمَّدٍ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ، وَنُوحٍ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ هُمْ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ نَعْلَمِ اسْمَهُ مِنْهُمْ فَنُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

الثَّالِثُ: تَصْدِيقُ مَا صَحَّ عَنْهُمْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ.

الرَّابِعُ: الْعَمَلُ بِشَرِيعَةِ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْنَا مِنْهُمْ، وَهُوَ خَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، الْمُرْسَلُ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ مِنَ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي النِّسَاءِ نَبِيَّةٌ، وَإِنَّمَا فِيهِنَّ صِدِّيقَاتٌ.

وَلِلْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ، مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ بِرَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ لِيَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَيُبَيِّنُوا لَهُمْ كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللهَ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ الْبَشَرِيَّ لَا يَسْتَقِلُّ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ.

الثَّانِيَةُ: شُكْرُهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَىٰ.

الثَّالِثَةُ: مَحَبَّةُ الرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَتَعْظِيمُهُمْ.

فَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللهِ، وَعِنَايَتِهِ، وَشَفَقَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِالْبَشَرِ؛ أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَجَعَلَ الرُّسُلَ مِنْ جِنْسِهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَوْ أَرْسَلَ إِلَىٰ الْبَشَرِ مَلَائِكَةً لَمْ تَتِمَّ الْأُسْوَةُ، وَلَمْ تَكْمُلِ الْقُدْوَةُ، وَلَقَامَ لِلنَّاسِ بَعْضُ حُجَّةٍ.

الرُّكْنُ الْخَامِسُ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

الرُّكْنُ الْخَامِسُ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

الْيَوْمُ الْآخِرُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُبْعَثُ النَّاسُ فِيهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ؛ وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَوْمَ بَعْدَهُ، حَيْثُ يَسْتَقِرُّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي مَنَازِلِهِمْ.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ: الْإِيمَانُ بِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَنَعِيمِهِ، وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ فِي الْقَبْرِ، وَكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْقَبْرِ.

فَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالَّذِي يَكُونُ بَعْدَ الْقَبْرِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ: الْبَعْثُ، وَالنَّشْرُ، وَالْحَشْرُ، وَالْحِسَابُ، وَوَزْنُ الْأَعْمَالِ، وَالصِّرَاطُ، وَالْمِيزَانُ الَّذِي تُوزَنُ بِهِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَتَفَاصِيلُ مَا يَحْصُلُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، فَنُؤْمِنُ بِذَلِكَ كُلِّهِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا.

تَفْصِيلًا فِيمَا فَصَّلَ، وَإِجْمَالًا فِيمَا أَجْمَلَ، بِدَايَةً مِنَ الْمَوْتِ إِلَىٰ أَنْ يَسْتَقِرَّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ؛ فَكُلُّ مَا صَحَّ فِي هَذَا نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَشُكُّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَمَنْ شَكَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ عَنِ الْإِسْلَامِ[1].

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ: وَهُوَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَىٰ حِينَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةَ

---

(١) «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» لِلشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ الْفَوْزَانِ (ص ٢١٥ - ٢١٦، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ).

الثَّانِيَةَ، فَيَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً غَيْرَ مُنْتَعِلِينَ، عُرَاةً غَيْرَ مُسْتَتِرِينَ، غُرْلًا غَيْرَ مُخْتَتِنِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وَالْبَعْثُ حَقٌّ ثَابِتٌ دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ ثُبُوتِهِ، وَهُوَ مُقْتَضَىٰ الْحِكْمَةِ؛ حَيْثُ تَقْتَضِي أَنْ يَجْعَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِهَذِهِ الْخَلِيقَةِ مَعَادًا يُجَازِيهِمْ فِيهِ عَلَىٰ مَا كَلَّفَهُمْ بِهِ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلَىٰ عَمَلِهِ، وَيُجَازَىٰ عَلَيْهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ**

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الرِّقَاقِ، ٤٥: ٦، رَقْمُ ٦٥٢٧)، وَمُسْلِمٌ فِي (صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ١٤: ٢، رَقْمُ ٢٨٥٩)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ؛ فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«أَنَّ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَأَنَّ مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»**(٢).

وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ إِثْبَاتِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ، وَهُوَ مُقْتَضَىٰ الْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَفَرَضَ عَلَىٰ الْعِبَادِ قَبُولَ مَا جَاءُوا بِهِ، وَالْعَمَلَ بِمَا يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ مِنْهُ، وَأَوْجَبَ قِتَالَ الْمُعَارِضِينَ لَهُ، وَأَحَلَّ دِمَاءَهُمْ، وَذُرِّيَّاتِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ.

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ حِسَابٌ وَلَا جَزَاءٌ لَكَانَ هَذَا مِنَ الْعَبَثِ الَّذِي يُنَزَّهُ الرَّبُّ الْحَكِيمُ عَنْهُ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَظَالِمِ، ٢، رَقْمُ ٢٤٤١)، وَمُسْلِمٌ فِي (التَّوْبَةِ، ٨: ٨، رَقْمُ ٢٧٦٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الرِّقَاقِ، ٣١، رَقْمُ ٦٤٩١)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٥٩: ٥، رَقْمُ ١٣١)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّهُمَا الْمَآلُ الْأَبَدِيُّ لِلْخَلْقِ، فَالْجَنَّةُ دَارُ النَّعِيمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَقَامُوا بِطَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، مُخْلِصِينَ لِلَّهِ، مُتَّبِعِينَ لِرَسُولِهِ، فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ: «**مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**»(١)، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

وَأَمَّا النَّارُ فَهِيَ دَارُ الْعَذَابِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- لِلْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَىٰ الْبَالِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٣١].

وَقَالَ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩].

وَيَلْتَحِقُ بِالْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ مِثْلَ:

* **فِتْنَةِ الْقَبْرِ**: وَهِيَ سُؤَالُ الْمَيِّتِ بَعْدَ دَفْنِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ.

وَهِيَ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ.

فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، فَيَقُولُ: «**رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ** ﷺ، **وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ، فَيَقُولُ الْكَافِرُ: هَاه هَاه لَا أَدْرِي،**

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٨: ٥، رَقْمُ ٣٢٤٤)، وَمُسْلِمٌ فِي (صِفَةِ الْجَنَّةِ، ١: ٣، رَقْمُ ٢٨٢٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وَيَقُولُ الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»(١).

* **عَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ:** فَيَكُونُ الْعَذَابُ لِلظَّالِمِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ.

قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(٢) مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**».

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ».

قَالُوا: «نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ».

فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

قَالُوا: «نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

وَأَمَّا نَعِيمُ الْقَبْرِ فَلِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ؛ فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي الْمُؤْمِنِ إِذَا أَجَابَ الْمَلَكَيْنِ فِي قَبْرِهِ: «**يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ**»، قَالَ: «**فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ**».

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (السُّنَّةِ، ٢٧: ٤، رَقْمُ ٤٧٥٣)، مِنْ حَدِيثِ: الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٣٥٥٨)، وَأَصْلُهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ١٧، رَقْمُ ٢٨٦٧).

رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ(١).

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَا يَكُونُ فِي الْقَبْرِ مِنْ نَعِيمٍ وَعَذَابٍ، وَأَمَّا أَهْلُ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ فَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَقُولُ: لَا نَأْخُذُ بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ!!

وَلِلْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ، مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: الرَّغْبَةُ فِي فِعْلِ الطَّاعَةِ، وَالْحِرْصُ عَلَيْهَا؛ رَجَاءً لِثَوَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

الثَّانِيَةُ: الرَّهْبَةُ فِي فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ، وَالرِّضَا بِهَا؛ خَوْفًا مِنْ عِقَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وَكُلَّمَا كَانَ الْمَرْءُ عَالِمًا بِتَفَاصِيلِ مَا أَعَدَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِلطَّائِعِينَ، وَبِتَفَاصِيلِ مَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُجْرِمِينَ الْمُنَافِقِينَ الْعَاصِينَ الْمُكَذِّبِينَ؛ كُلَّمَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ أَحْرَصَ عَلَىٰ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَعْصِيَاتِ.

الثَّالِثَةُ: تَسْلِيَةُ الْمُؤْمِنِ عَمَّا يَفُوتُهُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَرْجُوهُ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَثَوَابِهَا.

الرَّابِعَةُ: الْإِيمَانُ بِعَدْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا؛ لِأَنَّ الْقَضَايَا الْمُعَلَّقَةَ فِي الْحَيَاةِ كَثِيرَةٌ، وَمَا أَكْثَرَ الْمَظَالِمَ فِي الْحَيَاةِ الَّتِي لَا يُفْصَلُ فِيهَا!

وَقَدْ أَنْكَرَ الْكَافِرُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ، زَاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُمْكِنٍ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (السُّنَّةِ، ٢٧: ٤، رَقْمُ ٤٧٥٣)، وَأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨، رَقْمُ ١٨٥٣٤) وَمَوَاضِعَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

وَهَذَا الزَّعْمُ بَاطِلٌ، دَلَّ عَلَىٰ بُطْلَانِهِ الشَّرْعُ، وَالْحِسُّ، وَالْعَقْلُ.

أَمَّا مِنَ الشَّرْعِ؛ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن: ٧].

وَقَدِ اتَّفَقَتْ جَمِيعُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْحِسُّ؛ فَقَدْ أَرَىٰ اللهُ عِبَادَهُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَىٰ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

وَأَمَّا دَلَالَةُ الْعَقْلِ فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، خَالِقُهُمَا ابْتِدَاءً، وَالْقَادِرُ عَلَىٰ ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ لَا يَعْجِزُ عَنْ إِعَادَتِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾ [الروم: ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وَقَالَ آمِرًا بِالرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ إِحْيَاءَ الْعِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: ٧٩].

الثَّانِي: أَنَّ الْأَرْضَ تَكُونُ مَيِّتَةً هَامِدَةً، لَيْسَ فِيهَا شَجَرَةٌ خَضْرَاءُ، فَيَنْزِلُ عَلَيْهَا الْمَطَرُ، فَتَهْتَزُّ خَضْرَاءَ حَيَّةً فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، وَالْقَادِرُ عَلَىٰ إِحْيَائِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩].

وَصَلَّىٰ اللَّـهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

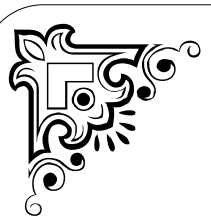

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

الرُّكْنُ السَّادِسُ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ

فَالرُّكْنُ السَّادِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

الْقَدَرُ: تَقْدِيرُ اللهِ -تَعَالَىٰ- لِلْكَائِنَاتِ حَسْبَمَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ، وَاقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ.

فَهُوَ تَقْدِيرُ اللهِ -تَعَالَىٰ- لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ حُدُوثِهَا تَقْدِيرًا يُوَافِقُ عِلْمَهُ وَكِتَابَتَهُ كَمًّا، وَكَيْفًا، وَزَمَانًا، وَمَكَانًا.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- عَلِمَ بِكُلِّ شَيْءٍ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، أَزَلًا وَأَبَدًا؛ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِهِ أَوْ بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ.

فَالْمَرْتَبَةُ الْأُولَىٰ: أَنْ تُؤْمِنَ بِعِلْمِ اللهِ الْمُحِيطِ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَخْفَىٰ عَنْهُ شَيْءٌ.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ كَتَبَ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

وَفِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**».

الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ سَوَاءٌ كَانَتْ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِهِ أَمْ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ الْمَخْلُوقِينَ.

قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِهِ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ﴾ [القصص: ٦٨].

وَقَالَ: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ الْمَخْلُوقِينَ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- بِذَوَاتِهَا وَصِفَاتِهَا

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْقَدَرِ، ٢: ٧، رَقْمُ ٢٦٥٣).

وَحَرَكَاتِهَا.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢].

وَقَالَ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾ [الفرقان: ٢].

وَقَالَ عَنْ نَبِيِّ اللهِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

فَهَذِهِ هِيَ الْمَرَاتِبُ الْأَرْبَعُ الَّتِي لَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ إِلَّا إِذَا آمَنَ بِهَا الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، وَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ الْأَرْبَعُ لِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ مَجْمُوعَةٌ فِي:

عِلْمٌ كِتَابَةُ مَوْلَانَا مَشِيئَتُهُ ... وَخَلْقُهُ وَهْوَ إِيجَادٌ وَتَكْوِينُ(١)

إِذَا آمَنْتَ بِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ إِيمَانًا صَحِيحًا كُنْتَ مُؤْمِنًا بِالْقَدَرِ إِيمَانًا صَحِيحًا، وَإِذَا اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَصِحَّ الْإِيمَانُ بِهَذَا الرُّكْنِ الْعَظِيمِ، وَلَمْ يَصِحَّ الْإِتْيَانُ بِهَذَا الرُّكْنِ الْعَظِيمِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا لَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةٌ فِي أَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ، وَقُدْرَةٌ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ وَالْوَاقِعَ دَالَّانِ عَلَىٰ إِثْبَاتِ ذَلِكَ لَهُ.

---

(١) «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ - مَجْمُوعُ فَتَاوَىٰ وَرَسَائِلِ الْعُثَيْمِينِ» (١٠/ ٩٩٢)، «حُصُولُ الْمَأْمُولِ بِشَرْحِ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» لِعَبْدِ اللهِ بْنِ صَالِحٍ الْفَوْزَانِ (ص ١٣٥، مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ).

الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ لَا يَعْنِي سَلْبَ الْمَشِيئَةِ عَنِ الْعَبْدِ، بَلْ أَثْبَتَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً، وَأَثْبَتَ لِلْعَبْدِ اخْتِيَارًا، وَهَذَا مِمَّا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ وَرَحْمَتُهُ وَعَدْلُهُ؛ وَإِلَّا فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ مُجْبَرًا عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ مَا يَأْتِي مِنْ أُمُورِ الْخَيْرِ؛ فَلِمَاذَا يُثَابُ وَهُوَ مَجْبُورٌ عَلَىٰ ذَلِكَ الْفِعْلِ، وَلَمْ يَفْعَلْهُ بِمَشِيئَتِهِ وَلَا بِاخْتِيَارِهِ؟!!

وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ مُجْبَرًا عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ مَا يَأْتِيهِ مِنْ أُمُورِ الْبَاطِلِ وَالْكُفْرِ وَالضَّلَالِ؛ فَلِمَاذَا يُعَاقَبُ عِقَابَهُ -حِينَئِذٍ- وَهُوَ مُجْبَرٌ عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ مَا يَأْتِيهِ مِنْ أُمُورِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ وَالضَّلَالِ؟!!

قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي الْمَشِيئَةِ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ [النبأ: ٣٩].

فَأَثْبَتَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلْعَبْدِ اتِّخَاذًا بِمَشِيئَةٍ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ﴾.

وَقَالَ فِي الْقُدْرَةِ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ [التغابن: ١٦].

فَأَثْبَتَ لَهُ اسْتِطَاعَةً، وَسَمْعًا، وَطَاعَةً.

كُلُّ إِنْسَانٍ آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَقْلًا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَا هُوَ مُجْبَرٌ عَلَىٰ فِعْلِهِ، وَبَيْنَ مَا يَفْعَلُهُ اخْتِيَارًا لَا اضْطِرَارًا.

لَكِنَّ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ وَقُدْرَتَهُ وَاقِعَتَانِ بِمَشِيئَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَقُدْرَتِهِ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، وَلِأَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ مِلْكٌ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ-؛ فَلَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ شَيْءٌ بِدُونِ عِلْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ.

وَالتَّفْرِقَةُ بَيْنَ الْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ الْقَدَرِيَّةِ وَالْإِرَادَةِ الدِّينِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ هِيَ مِفْتَاحُ حَلِّ هَذَا الْإِشْكَالِ الَّذِي يَتَوَرَّطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الِاعْتِقَادِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْإِيمَانِ، فِي أَمَسِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَمَسَّ الْإِنْسَانَ فِي إِيمَانِهِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ عِنْدَمَا يُعْطِي الْعَبْدَ الِاخْتِيَارَ مَا سَيَخْتَارُ، فَيَكْتُبُ اخْتِيَارَهُ فِيمَا جَعَلَهُ مُخْتَارًا فِيهِ، فَيَظُنُّ النَّاسُ التَّلَازُمَ بَيْنَ الْكِتَابَةِ وَالْجَبْرِ، وَأَنَّهُ مَا دَامَ كَتَبَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ الْفِعْلَ كَمَا كَتَبَ، نَعَمْ لَا بُدَّ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ لَا يَتَخَلَّفُ -سُبْحَانَهُ-؛ وَلَكِنْ هُوَ كَتَبَ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ عِلْمِهِ.

الْعِلْمُ صِفَةُ انْكِشَافٍ بِالنِّسْبَةِ لِلرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يَعْلَمُ ﷻ مَا سَيَكُونُ فَكَتَبَ مَا سَيَكُونُ، وَأَعْطَاكَ الِاخْتِيَارَ، فَيَعْلَمُ اخْتِيَارَكَ فَكَتَبَهُ؛ فَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذَا؟!!

فَإِذَا آمَنَ الْإِنْسَانُ بِالْعِلْمِ، وَآمَنَ بِالْكِتَابَةِ، وَآمَنَ بِالْمَشِيئَةِ، وَفِيهَا الْإِيمَانُ بِالْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ، وَالْإِيمَانُ بِالْإِرَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، فَيَتَأَمَّلُ الْإِنْسَانُ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ! هَذَا الْكَوْنُ يَحْدُثُ فِيهِ أُمُورٌ لَا يَرْضَاهَا الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا، يَحْدُثُ فِيهِ الْكُفْرُ، وَالْفُسُوقُ، وَالْعِصْيَانُ، وَالْفَوَاحِشُ، وَالظُّلْمُ، وَقَتْلُ الْأَنْفُسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَرْضَاهُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَمِمَّا حَرَّمَهُ، وَمِمَّا كَرِهَهُ.

فَلَا يَقَعُ ذَلِكَ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، يَعْنِي: بِأَنْ يَشَاءَ أَنْ يَقَعَ هَذَا وَهُوَ يُبْغِضُهُ، وَلَكِنْ يَسْمَحُ بِوُقُوعِهِ، فَيَقَعُ فِي مُلْكِهِ مَعَ بُغْضِهِ لَهُ، هَذِهِ إِرَادَةٌ كَوْنِيَّةٌ قَدَرِيَّةٌ.

الْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ الْقَدَرِيَّةُ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْمَحَبَّةِ.

فَإِذَا اخْتَارَ الْعَبْدُ أَنْ يَكْفُرَ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يُرِيدُ -أَيْ: مَا يُرِيدُهُ الْعَبْدُ-،

مَعَ بُغْضِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِمَا يَفْعَلُهُ هَذَا الْعَبْدُ؛ فَالَّذِي لَا يُصَلِّي لَا يُصَلِّي بِالْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرِيدَ هَذَا الْأَمْرَ -وَهُوَ عَدَمُ الصَّلَاةِ- إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ؛ وَلَكِنْ يَبْغَضُهُ وَلَا يُحِبُّهُ.

وَأَمَّا الْإِرَادَةُ الدِّينِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ، اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ، أَمَرَ بِالْخَيْرِ، وَنَهَىٰ عَنِ الشَّرِّ، فَإِذَا فَعَلَ الْإِنْسَانُ مُرَادَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الشَّرْعِيَّ فَإِنَّهُ -حِينَئِذٍ- يَكُونُ قَدْ تَعَلَّقَ بِالْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّ الْإِرَادَةَ الشَّرْعِيَّةَ تَتَعَلَّقُ بِالْمَحَبَّةِ، فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَا يُحِبُّ، وَلَا يَنْهَىٰ إِلَّا عَمَّا يَكْرَهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ-.

فَتُؤْمِنُ أَنَّ لَكَ مَشِيئَةً، وَأَنَّ لَكَ اخْتِيَارًا، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَشِيئَتُهُ فَوْقَ مَشِيئَتِكَ، وَأَنَّكَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَهُ؛ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ مِمَّا يُغْضِبُهُ، فَيَأْذَنُ بِوُقُوعِهِ فِي مُلْكِهِ وَهُوَ لَهُ مُبْغِضٌ، لَا يُحِبُّهُ وَلَا يَرْضَاهُ، وَلَكِنْ يَأْذَنُ بِوُقُوعِ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ.

وَلِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ، مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- عِنْدَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ؛ بِحَيْثُ لَا يَعْتَمِدُ عَلَىٰ السَّبَبِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرِ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

الثَّانِيَةُ: أَلَّا يُعْجَبَ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ حُصُولِ مُرَادِهِ؛ لِأَنَّ حُصُولَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِمَا قَدَّرَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالنَّجَاحِ، وَإِعْجَابُهُ بِنَفْسِهِ يُنْسِيهِ شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ.

الثَّالِثَةُ: الطُّمَأْنِينَةُ وَالرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ أَقْدَارِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، فَلَا يَقْلَقُ بِفَوَاتِ مَحْبُوبٍ أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ يَعْنِي: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ.

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، لَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ.

فَهَذَا هُوَ مُجْمَلُ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ وَتَعْرِيفُهُ

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ مَرَاتِبِ دِينِ الْإِسْلَامِ -عِبَادَ اللهِ-: الْإِحْسَانُ، رُكْنٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الزُّهْدِ، ١٣، رَقْمُ ٢٩٩٩)، مِنْ حَدِيثِ: صُهَيْبٍ رضي الله عنه.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس:٦١] الْآيَةَ.

الْإِحْسَانُ: ضِدُّ الْإِسَاءَةِ، وَهُوَ أَنْ يَبْذُلَ الْإِنْسَانُ الْمَعْرُوفَ، وَيَكُفَّ الْأَذَىٰ، فَيَبْذُلُ الْمَعْرُوفَ لِعِبَادِ اللهِ فِي مَالِهِ، وَجَاهِهِ، وَعِلْمِهِ، وَبَدَنِهِ.

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْإِحْسَانِ فِي عِبَادَةِ اللهِ؛ فَأَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

«الْإِحْسَانُ فِي الْأَصْلِ نَوْعَانِ:

إِحْسَانٌ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا.

وإِحْسَانٌ فِي حُقُوقِ الْخَلْقِ، وهُوَ نَوْعَانِ:

إِحْسَانٌ واجِبٌ: وهُوَ أَنْ تَقُومَ بِحُقُوقِهِمُ الْوَاجِبَةِ عَلَىٰ أَكْمَلِ وَجْهٍ؛ كَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وصِلَةِ الْأَرْحَامِ، والْإِنْصَافِ فِي جَمِيعِ الْمُعَامَلَاتِ، ويَدْخُلُ فِي هَذَا النَّوْعِ الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْبَهَائِمِ، ثُمَّ الْإِحْسَانُ فِي الْقَتْلِ كَذَلِكَ، وفِي الذَّبْحِ كَذَلِكَ، كَمَا أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِأَمْرِ اللهِ(١).

---

(١) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي (الذَّبَائِحِ، ١١، رَقْمُ ١٩٥٥)، مِنْ حَدِيثِ: شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، قَالَ: =

والْإِحْسَانُ الْمُسْتَحَبُّ: هُوَ مَا زَادَ عَلَىٰ الْوَاجِبِ مِنْ بَذْلِ نَفْعٍ مَالِيٍّ أَوْ بَدَنِيٍّ، أَوْ نَفْعٍ عِلْمِيٍّ.

وَمِنْ أَجَلِّ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ: الْإِحْسَانُ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ(١)»(٢).

قَالَ النَّوَوِيُّ الْإِمَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِهِ عَلَىٰ مُسْلِمٍ»(٣) عِنْدَمَا تَعَرَّضَ لِشَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ: «وَهَذَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي أُوتِيَهَا ﷺ؛ لِأَنَّا لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّ أَحَدَنَا قَامَ فِي عِبَادَةٍ وهُوَ يُعَايِنُ رَبَّهُ ﷻ؛ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُضُوعِ، والْخُشُوعِ، وحُسْنِ السَّمْتِ، واجْتِمَاعِهِ بِظَاهِرِهِ وبَاطِنِهِ عَلَىٰ الِاعْتِنَاءِ بِتَتْمِيمِ الْعِبَادَةِ عَلَىٰ أَحْسَنِ الْوُجُوهِ إِلَّا أَتَىٰ بِهِ».

وَعِبَادَةُ اللهِ ﷻ هِيَ كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(٤):

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعْ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ

=

ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**».

(١) كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٤- ٣٥].

(٢) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ بِشَرْحِ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ» لِعَبْدِ اللهِ بْنِ صَالِحٍ الْفَوْزَانِ (ص ١٣٨ - ١٣٩).

(٣) «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١/ ١٥٧ - ١٥٨).

(٤) «الْكَافِيَةُ الشَّافِيَةُ» (ص ١٧٩، الْبَيْتُ رَقْمُ ٥١٤، دَارُ عَالَمِ الْفَوَائِدِ).

فَالْعِبَادَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ: غَايَةِ الْحُبِّ، وَغَايَةِ الذُّلِّ، فَفِي الْحُبِّ الطَّلَبُ، وَفِي الذُّلِّ الْخَوْفُ وَالْهَرَبُ، فَهَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ اللهِ ﷻ.

وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ فَإِنَّهُ سَوْفَ يَكُونُ مُخْلِصًا لِلَّهِ ﷻ، لَا يُرِيدُ بِعِبَادَتِهِ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، وَلَا مَدْحًا عِنْدَ النَّاسِ، وَسَوَاءٌ اطَّلَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ أَمْ لَمْ يَطَّلِعُوا؛ الْكُلُّ عِنْدَهُ سَوَاءٌ، وَهُوَ مُحْسِنٌ الْعِبَادَةَ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ -وَهِيَ الْإِحْسَانُ-: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

وَالْآيَةُ فِيهَا: بَيَانُ فَضْلِ الْمُحْسِنِينَ، وَبَيَانُ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي تَكُونُ لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ الْعَزِيزُ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ يَعْنِي: إِلَى الصَّلَاةِ مُتَهَجِّدًا بِلَيْلٍ، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾: وَرُكُوعَكَ، وَسُجُودَكَ، وَقِيَامَكَ فِي السَّاجِدِينَ الْمُصَلِّينَ لِرَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

وَقَوْلُهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾ أَيْ: فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾، ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ أَنْتَ وَأُمَّتُكَ ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ مُشَاهِدِينَ لَكُمْ مُرَاقِبِينَ أَعْمَالَكُمْ ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يَعْنِي: تَأْخُذُونَ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ(١).

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١٤١ - ١٤٢).

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جَبْرَائِيلَ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ وَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**».

قَالَ: «صَدَقْتَ».

قَالَ: «فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ».

قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ».

قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

قَالَ: «صَدَقْتَ».

قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ».

قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ».

قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا».

قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**».

قَالَ: «ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**». **قُلْتُ**: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١).

وَهَذَا الْحَدِيثُ اشْتَمَلَ عَلَىٰ شَرْحِ جَمِيعِ وَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مِنْ عُقُودِ الْإِيمَانِ، وَأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَإِخْلَاصِ السَّرَائِرِ، وَالتَّحَفُّظِ مِنْ آفَاتِ الْأَعْمَالِ؛ حَتَّىٰ إِنَّ عُلُومَ الشَّرِيعَةِ كُلَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ، وَمُتَشَعِّبَةٌ مِنْهُ، أَيْ: مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ(٢). (*).

مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ وَفَوَائِدِهِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! لِلْإِيمَانِ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالنَّتَائِجِ الطَّيِّبَةِ وَالْفَوَائِدِ الْمُبَارَكَةِ فِي

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ١: ١، رَقْمُ ٨)، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(٢) «إِكْمَالُ الْمُعَلِّمِ» لِلْقَاضِي عِيَاضٍ (١/ ٢٠٤)، «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (١/ ١٥٨)، «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١٤٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ» مِنَ (الْمُحَاضَرَةِ التَّاسِعَةِ) إِلَىٰ (الْمُحَاضَرَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ) - الِاثْنَيْنِ ١١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ١٨-٢-٢٠٠٨م - الْخَمِيسُ ١٤ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ٢١-٢-٢٠٠٨م.

الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَىٰ، فَكُلُّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَمَرَدُّهُ إِلَىٰ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالْيَقِينِ الْحَقِّ.

الْإِيمَانُ الصَّادِقُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَبْعَثُ الطُّمَأْنِينَةَ فِي الْقَلْبِ، وَالسَّكِينَةَ فِي الْقَلْبِ، وَالرِّضَا بِالْأَقْدَارِ، وَيَقِي صَاحِبَهُ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَآفَاتِهَا، وَمِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ.

وَبِالْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَحْدَهُ يَسْتَطِيعُ الْعَبْدُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَىٰ مَصَائِبِ الدُّنْيَا وَشَدَائِدِهَا، وَمِحَنِهَا وَفِتَنِهَا.

وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ؛ فَالْإِيمَانُ الصَّادِقُ هُوَ الْأَمْنُ وَالسَّلَامَةُ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ، وَمِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَبِهِ وَحْدَهُ يَنَالُ الْعَبْدُ رِضْوَانَ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَجَنَّةَ الْخُلْدِ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً، وَيُحَصِّلُ بِهِ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ السَّرْمَدِيَّةَ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].(*).

إِنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَبِهِ يَحْيَا الْعَبْدُ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي الدَّارَيْنِ، وَبِهِ يَنْجُو مِنَ الْمَكَارِهِ وَالشُّرُورِ، وَبِهِ تَخِفُّ الشَّدَائِدُ، وَتُدْرَكُ جَمِيعُ الْمَطَالِبِ، وَلْنُشِرْ إِلَىٰ هَذِهِ الثَّمَرَاتِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّفْصِيلِ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ فَوَائِدِ الْإِيمَانِ وَثَمَرَاتِهِ مِنْ أَكْبَرِ الدَّوَاعِي إِلَىٰ التَّزَوُّدِ مِنْهُ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «مِنْ مَبَاحِثِ الْإِيمَانِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةُ: مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ وَفَوَائِدِهِ)، الْخَمِيسُ ١١ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٨هـ| ٣-٨-٢٠١٧م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ)، الثُّلَاثَاءُ ١٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ| ٢٤-٩-٢٠١٣م.

دِينُكُمْ عِرْضُكُمْ وَحَيَاتُكُمْ فَتَعَلَّمُوهُ!

دِينُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَغْلَىٰ مِنْ لَحْمِكُمْ، وَعِرْضِكُمْ، وَدَمِكُمْ، وَحَيَاتِكُمْ.

لَوْلَا الدِّينُ مَا كانَ هُنَاكَ شَرَفٌ!

لَوْلَا الدِّينُ مَا كَانَ هُنَاكَ عِرْضٌ!

لَوْلَا الدِّينُ مَا أَمِنَ أَحَدٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَا عَلَىٰ مَالِهِ، وَلَا عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِ!

الدِّينُ هُوَ الدِّينُ، وَمَا عِنْدَ النَّاسِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنَ الْمُلْحِدِينَ، وَمِنَ الْوَثَنِيِّينَ، وَمِنَ الْكِتَابِيِّينَ؛ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّمَا هُوَ أَثَارَةٌ مِنْ وَحْيٍ سَابِقٍ؛ فَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الْوَحْيِ، وَالْخَيْرُ لَمْ يَأْتِ إِلَّا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ الَّذِي خَلَقَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ خَلَقَ؛ فَشَرَّعَ لِلْخَلْقِ مَا يَنْفَعُهُمْ.

وَتَأَمَّلْ هَذَا فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَكُلُّ أَمْرٍ تَجِدُ فِيهِ الْحِكْمَةَ ظَاهِرَةً وَلَائِحَةً فِي التَّشْرِيعِ وَفِي التَّقْدِيرِ -فِي الْقَدَرِ وَفِي الشَّرْعِ-، قَدْ يَأْتِيكَ أَمْرٌ لَا تَفْهَمُهُ، تُعَطِّلُ عَنْ مَصْلَحَةٍ كُنْتَ جَادًّا وَحَرِيصًا عَلَىٰ تَحْصِيلِهَا، ثُمَّ يَتَبَيَّنُ لَكَ بَعْدُ أَنَّهَا كَانَتْ مُضِرَّةً لَكَ، وَلَوْ حَصَّلْتَهَا فِي أَوَانِهَا لَأَثَّرَتْ فِيكَ بِالسَّلْبِ تَأْثِيرًا غَيَّرَ حَيَاتَكَ كُلَّهَا، وَلَكِنْ فِي أَوَانِهِ لَا تَعْلَمُ؛ فَسَلِّمْ تَسْلَمْ، وَمَا دُمْتَ قَدْ آمَنْتَ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا فَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الْبَرُّ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، وَهُوَ أَحْرَصُ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ مِنْكَ، وَأَحَنُّ وَأَرْأَفُ بِكَ مِنْ أُمِّكَ وَأَبِيكَ، وَمِنْ نَفْسِكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ، هَذَا لَا خِلَافَ عَلَيْهِ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَنْفُسِنَا الَّتِي بَيْنَ جُنُوبِنَا، اللهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَكُلُّ مَا تَرَاهُ فِي الْعَالَمِ مِنَ الرَّحْمَةِ إِنَّمَا هُوَ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ جُزْءٍ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا قَسَمَ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، وَهِيَ مَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَةِ الْفِعْلِ، وَأَمَّا صِفَةُ الذَّاتِ فَلَا تَنْقَسِمُ.

فَالرَّحْمَةُ جَعَلَهَا اللهُ مِائَةَ جُزْءٍ، اسْتَأْثَرَ لَدَيْهِ فِي السَّمَاءِ بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا مِنْ مِائَةٍ، بِهِ يَتَرَاحَمُ النَّاسُ وَالْمَخْلُوقَاتُ؛ حَتَّىٰ لَتَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُؤْذِيَهُ، فِي الْحَظِيرَةِ تَجِدُ الْبَهِيمَةَ -وَلَيْسَ هُنَالِكَ نُورٌ وَلَا ضِيَاءٌ-، وَيَأْتِي صَاحِبُهَا صَبَاحًا وَقَدْ تَكَشَّفَ الْكَوْنُ بِالضِّيَاءِ لِيَنْظُرَ، فَيَجِدُ أَنَّ تِلْكَ الْبَهِيمَةَ لَمْ تُؤْذِ هَذَا الَّذِي وَضَعَتْهُ: «**حَتَّىٰ لَتَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُؤْذِيَهُ**»(١)، مِنْ جُزْءٍ وَاحِدٍ مِنْ مِائَةِ جُزْءٍ مِنَ الرَّحْمَةِ؛ فَكَيْفَ إِذَا عَمِلَتْ هَذِهِ الْأَجْزَاءُ كُلُّهَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا فِي الْآخِرَةِ؟!

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْحَمَنَا بِرَحْمَتِهِ دُنْيَا وَآخِرَةً.

تَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ!

افْهَمُوهُ!

تَعَلَّمُوهُ؛ لِأَنَّ الْخَلَلَ إِنَّمَا يَأْتِي مِنَ الْجَهْلِ، وَسَبَبُ الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ هُوَ الْجَهْلُ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ: «**حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا،**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[١].

فَالضَّلَالُ وَالْإِضْلَالُ إِنَّمَا يَأْتِيَانِ مِنَ الْجَهْلِ، وَالْجَهْلُ دَاءٌ، «**إِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ** -أَيِ: الْجَهْلِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْحَدِيثِ- **السُّؤَالُ**»[٢]، أَنْ يَسْأَلَ الْإِنْسَانُ عَمَّا يَجْهَلُهُ، وَالْمَسْؤُولُ -يَعْنِي: مَنْ يُوَجَّهُ إِلَيْهِ السُّؤَالُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ- عَلَيْهِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْقَاعِدَةِ الْعَظِيمَةِ؛ وَهِيَ: «لَا أَدْرِي»، لَا تَدْرِي قُلْ: لَا أَدْرِي، هَذَا الَّذِي يَكُونُ لَكَ شَرَفًا، أَمَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ الْإِنْسَانُ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَهَذَا يُؤَدِّي إِلَىٰ خَلَلٍ عَظِيمٍ.

فَاتَّقُوا اللهَ فِي دِينِكُمْ، وَفِي مُسْتَقْبَلِكُمْ، وَفِي حَيَاتِكُمُ الْحَقِيقِيَّةِ!

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

الْحَيَاةُ الْحَقَّةُ لَيْسَتْ هُنَا، هَذِهِ مَرْحَلَةٌ مُنْقَضِيَةٌ، ثُمَّ تَنْتَهِي بِالْمَوْتِ، وَالِانْتِقَالِ إِلَىٰ الْبَرْزَخِ فِي الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ، يُقِيمُ اللهُ السَّاعَةَ إِلَىٰ حَيَاةِ الْخُلُودِ؛ إِمَّا فِي النَّارِ أَبَدًا، وَإِمَّا فِي الْجَنَّةِ أَبَدًا.

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَنْتَهِزَ الْفُرْصَةَ؛ لِأَنَّهَا لَنْ تَعُودَ، وَالْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَمَا يُعَايِنُ الْعَذَابَ يَتَمَنَّىٰ لَوْ رُدَّ إِلَىٰ الدُّنْيَا، أَنْتَ فِيهَا؛ لِمَاذَا تَنْتَظِرُ حَتَّىٰ إِذَا مَا أَفْلَتَتْ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣٦) واللفظ له، والدارقطني (١/ ١٨٩)، والبيهقي (١١١٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٣٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

مِنْكَ فُرْصَتُكَ، وَقَدِمْتَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَقَدْ ضَيَّعْتَ مَا آتَاكَ؛ تَقُولُ: رُدَّنِي وَسَأَعْمَلُ صَالِحًا؟!!

أَنْتَ هُنَا؛ لِمَاذَا تَنْتَظِرُ حَتَّىٰ تَطْلُبَ الرَّجْعَةَ وَلَنْ تَعُودَ؟!!

لَنْ يُعِيدَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قُضِيَ الْأَمْرُ، فَأَنْتَ هُنَا!

لَنْ تَطْلُبَ شَيْئًا لَمْ تُؤْتَهُ، هُوَ مَعَكَ.. عُمُرُكَ، حَافِظْ عَلَيْهِ، لَا تُضَيِّعِ الْوَقْتَ، اتَّقِ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي بَيْتِكَ![*].

نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِكَمَالِ الْإِيمَانِ، وَتَمَامِ الْإِيمَانِ، وَدَوَامِ الْإِيمَانِ، وَأَنْ يَقْبِضَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ مَنْ جَاءَ بِهِ ﷺ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.[*/٢].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مَقْطَعٌ بِعُنْوَان: «دِينُكَ لَحْمُكَ وَدَمُكَ».

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ ٢٠٠ سُؤَال وَجَوَاب فِي الْعَقِيدَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ)، الْأَرْبِعَاءُ ١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٢هـ| ٥-١-٢٠١١م.

الْخُطْبَةُ الْخَامِسَةُ:

الْأَصْلُ الثَّالِثُ:

مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

إِرْسَالُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ

فَإِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِعِبَادِهِ أَنْ أَرْسَلَ فِيهِمْ رُسُلَهُ يُبَشِّرُونَ وَيُنْذِرُونَ، كُلَّمَا ذَهَبَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، حَتَّىٰ خَتَمَهُمْ بِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَقَدِ امْتَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَىٰ الثَّقَلَيْنِ بِرِسَالَتِهِ ﷺ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ**

﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

وَلَقَدِ اخْتَارَ مِنْهُمْ سَيِّدَهُمْ وَإِمَامَهُمْ، فَجَعَلَهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وَهُوَ صَفْوَةُ الْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَصَّهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِخَصَائِصَ وَمَزَايَا لَمْ يَشْرَكْهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَصَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- أُمَّتَهُ بِخَصَائِصَ لَيْسَتْ لِغَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ أَعْظَمَ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ هِيَ إِرْسَالُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ، الَّذِي أَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّهُمَا دَعَوَا اللهَ -تَعَالَىٰ- لِأَهْلِ الْحَرَمِ وَهُمَا يَبْنِيَانِ الْبَيْتَ بِأَدْعِيَةٍ، مِنْهَا: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩].

وَقَدْ أَجَابَ اللهُ -تَعَالَىٰ- دُعَاءَهُمَا؛ فَبَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ وَفِي غَيْرِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ.

وَتِلْكَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَىٰ وَالْمِنَّةُ الْكُبْرَىٰ نَوَّهَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الْمَجِيدِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٢-٤].

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].(*).

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ

عِبَادَ اللهِ! الْأَصْلُ الثَّالِثُ مِنَ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا -وَهِيَ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ-: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ-.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً؛ مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا، نُبِّئَ بِاقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

مَعْرِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ تَتَضَمَّنُ خَمْسَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: مَعْرِفَتُهُ نَسَبًا؛ فَهُوَ أَشْرَفُ النَّاسِ نَسَبًا، فَهُوَ هَاشِمِيٌّ قُرَشِيٌّ عَرَبِيٌّ، فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «نَبِيُّنَا مُحَمَّد ﷺ» - ٥ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣ هـ| ٢١- ٠٩ - ٢٠١٢ م.

وَلَهُ ﷺ أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمْحَىٰ بِي الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**»(١).

الثَّانِي: مَعْرِفَةُ سِنِّهِ، وَمَكَانِ وِلَادَتِهِ، وَمُهَاجِرِهِ؛ فَقَدْ وُلِدَ بِمَكَّةَ عَامَ الْفِيلِ، وَبَقِيَ فِيهَا ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ سَنَةً، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَبَقِيَ فِيهَا عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ فِيهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ (١١هـ).

الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ حَيَاتِهِ النَّبَوِيَّةِ، وَهِيَ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً؛ فَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً.

الرَّابِعُ: بِمَاذَا كَانَ نَبِيًّا وَرَسُولًا؟

فَقَدْ كَانَ نَبِيًّا حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥].

ثُمَّ كَانَ رَسُولًا حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١-٧].

فَقَامَ ﷺ فَأَنْذَرَ، وَقَامَ بِأَمْرِ اللهِ ﷻ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ١٧: ١، رَقْمُ ٣٥٣٢)، وَفِي (التَّفْسِيرِ، ٦١، رَقْمُ ٤٨٩٦)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْفَضَائِلِ، ٣٤: ١، رَقْمُ ٢٣٥٤)، مِنْ حَدِيثِ: جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ -كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْعِلْمِ-:

أَنَّ الرَّسُولَ: هُوَ مَنْ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ قَوْمٍ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، أَوْ لَمْ يُنْزِلْ عَلَيْهِ كِتَابًا لَكِنْ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ حُكْمًا لَمْ يَكُنْ فِي شَرِيعَةِ مَنْ قَبْلَهُ.

وَأَمَّا النَّبِيُّ: فَهُوَ مَنْ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ شَرِيعَةٍ سَابِقَةٍ دُونَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، أَوْ يُوحِيَ إِلَيْهِ بِحُكْمٍ جَدِيدٍ نَاسِخٍ أَوْ غَيْرِ نَاسِخٍ؛ وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ الْعَكْسَ، وَقِيلَ: هُمَا مُتَرَادِفَانِ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ.

الْخَامِسُ: بِمَاذَا أُرْسِلَ؟ وَلِمَاذَا؟

أُرْسِلَ بِتَوْحِيدِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَشَرِيعَتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِفِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَأُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؛ لِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ ظُلْمَةِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالْجَهْلِ إِلَىٰ نُورِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ؛ حَتَّىٰ يَنَالُوا بِذَلِكَ مَغْفِرَةَ اللهِ وَرِضْوَانَهُ، وَيَنْجُوا مِنْ عِقَابِهِ وَسَخَطِهِ.

دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى التَّوْحِيدِ فِي مَكَّةَ

بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١-٧].

وَمَعْنَىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ،

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

يَأْمُرُ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُومَ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ، وَيُنْذِرَ النَّاسَ عَنِ الشِّرْكِ وَيُحَذِّرَهُمْ مِنْهُ؛ فَالْآيَاتُ كُلُّهَا فِي الْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ.

الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

لَقَدْ بَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ ﷻ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ ﷻ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ -وَالْعُرُوجُ: الصُّعُودُ-.

«وَالْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي ثَبَتَتْ بِالشَّرْعِ، وَلَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهَا مَدْخَلٌ.

وَالْجُمْهُورُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ: أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ وَقَعَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَقَظَةِ بِجَسَدِ النَّبِيِّ ﷺ وَرُوحِهِ؛ لِأَنَّ قُرَيْشًا أَكْبَرَتْهُ وَأَنْكَرَتْهُ، وَلَوْ كَانَ مَنَامًا لَمْ تُنْكِرْهُ؛ لِأَنَّهَا لَا تُنْكِرُ الْمَنَامَاتِ.

وَالْإِسْرَاءُ لُغَةً: السَّيْرُ لَيْلًا.

وَشَرْعًا: سَيْرُ جِبْرِيلَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ عُرُوجُهُ ﷺ عَلَىٰ الْمِعْرَاجِ.

وَالْمِعْرَاجُ لُغَةً: الْآلَةُ الَّتِي يُعْرَجُ بِهَا، وَهِيَ الْمِصْعَدُ.

وَشَرْعًا: السُّلَّمُ الَّذِي عَرَجَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ»[1].

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١٦٥ - ١٦٦).

«وَقَدْ كَانَتْ رِحْلَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مُكَافَأَةً رَبَّانِيَّةً عَلَىٰ مَا لَاقَاهُ الْخَلِيلُ ﷺ مِنْ أَتْرَاحٍ وَأَحْزَانٍ وَآلَامٍ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ حِصَارٍ دَامَ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَا لَاقَاهُ النَّبِيُّ ﷺ أَثْنَاءَ الْحِصَارِ مِنْ جُوعٍ وَحِرْمَانٍ، إِنَّهُ ﷺ وَقَعَ لَهُ هَذَا الْحَدَثُ الْفَرِيدُ بَعْدَ فَقْدِ النَّاصِرِ الْحَمِيمِ، وَفَقْدِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَ بَعْدَ خَيْبَةِ الْأَمَلِ فِي ثَقِيفٍ وَمَا نَالَهُ مِنْ سُفَهَائِهَا وَصِبْيَانِهَا وَعَبِيدِهَا.

بَعْدَ هَذِهِ الْآلَامِ كَافَأَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلِيلَهُ ﷺ، فَرَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ حُلَلِ الرِّضَا مَا أَنْسَاهُ كُلَّ مَا كَانَ قَدْ لَاقَاهُ مِنْ حُزْنٍ وَأَلَمٍ وَنَصَبٍ وَتَعَبٍ، وَمَا قَدْ يُلَاقِيهِ بَعْدُ فِي سَبِيلِ إِبْلَاغِ رِسَالَتِهِ، وَنَشْرِ دَعْوَتِهِ -فَصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا ذَكَرَ اللهَ الذَّاكِرُونَ وَمَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ-»(١).

وَالْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ ﷺ الْعَظِيمَةِ الَّتِي فَضَّلَهُ اللهُ بِهَا قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ مِنْ مَكَّةَ، فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ فِي الْكَعْبَةِ أَتَاهُ آتٍ، فَشَقَّ مَا بَيْنَ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَىٰ أَسْفَلِ بَطْنِهِ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَ قَلْبَهُ فَمَلَأَهُ حِكْمَةً وَإِيمَانًا؛ تَهْيِئَةً لِمَا سَيَقُومُ بِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ يُقَالُ لَهَا: الْبُرَاقُ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرَفِهِ، فَرَكِبَهُ ﷺ وَبِصُحْبَتِهِ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ حَتَّىٰ وَصَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَنَزَلَ هُنَاكَ، وَصَلَّىٰ بِالْأَنْبِيَاءِ إِمَامًا -بِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ-، يُصَلُّونَ خَلْفَهُ؛ لِيَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ فَضْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشَرَفُهُ، وَأَنَّهُ الْإِمَامُ الْمَتْبُوعُ.

---

(١) «هَذَا الْحَبِيبُ مُحَمَّدٌ ﷺ يَا مُحِبُّ» لِلشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ جَابِرٍ الْجَزَائِرِيِّ (ص ١٣٥، دَارُ الشُّرُوقِ - جُدَّةُ).

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ.

وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أُدْخِلَ النَّبِيُّ ﷺ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ، ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ أَتَىٰ مَكَّةَ بِغَلَسٍ، وَصَلَّىٰ فِيهَا الصُّبْحَ(١).

هِجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ

فُرِضَتْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَكَانَ يُصَلِّي الرُّبَاعِيَّةَ رَكْعَتَيْنِ حَتَّىٰ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: « **فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَىٰ الْأُولَىٰ**»(٢).

وَبَعْدَهَا أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ مَنَعُوهُ أَنْ يُقِيمَ دَعْوَتَهُ.

وَفِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنَ الْعَامِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنَ الْبَعْثَةِ وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٦: ١، رَقْمُ ٣٢٠٧) وَفِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٢: ١، رَقْمُ ٣٨٨٧) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٤: ٦، رَقْمُ ١٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٨: ٢، رَقْمُ ٣٩٣٥)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ فِي (صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ، ١: ١، رَقْمُ ٦٨٥).

الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ؛ الْبَلَدِ الْأَوَّلِ لِلْوَحْيِ، وَأَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا بِإِذْنِ رَبِّهِ بَعْدَ أَنْ قَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، يُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ وَأَكَابِرِهِمْ سِوَىٰ الرَّفْضِ لِدَعْوَتِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَالْإِيذَاءِ الشَّدِيدِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَمَنْ آمَنَ بِهِ؛ حَتَّىٰ آلَ الْأَمْرُ بِهِمْ إِلَىٰ تَنْفِيذِ خُطَّةِ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ لِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ؛ حَيْثُ اجْتَمَعَ كُبَرَاؤُهُمْ فِي دَارِ النَّدْوَةِ، وَتَشَاوَرُوا مَاذَا يَفْعَلُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ رَأَوْا أَصْحَابَهُ يُهَاجِرُونَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ، وَيَجِدَ النُّصْرَةَ وَالْعَوْنَ مِنَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ بَايَعُوهُ عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ؛ وَحِينَئِذٍ تَكُونُ لَهُ الدَّوْلَةُ عَلَىٰ قُرَيْشٍ.

فَقَالَ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ: الرَّأْيُ أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَتًىٰ شَابًّا جَلْدًا، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ سَيْفًا صَارِمًا، ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ فَيَضْرِبُوهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَيَقْتُلُوهُ وَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ، فَيَتَفَرَّقُ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ -يَعْنِي: عَشِيرَةَ النَّبِيِّ ﷺ- أَنْ يُحَارِبُوا قَوْمَهُمْ جَمِيعًا، فَيَرْضَوْنَ بِالدِّيَةِ، فَنُعْطِيهِمْ إِيَّاهَا.

فَأَعْلَمَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِمَا أَرَادَ الْمُشْرِكُونَ، وَأَذِنَ لَهُ بِالْهِجْرَةِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قَدْ تَجَهَّزَ مِنْ قَبْلُ لِلْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَىٰ رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**»، فَتَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لِيَصْحَبَ النَّبِيَّ ﷺ».

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي! وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ».

قَالَتْ: «فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ -بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ-».

قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «الصُّحْبَةَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «فَخُذْ - بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ - إِحْدَىٰ رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فَأَقَامَا فِي غَارِ جَبَلِ ثَوْرٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ غُلَامًا شَابًّا ذَكِيًّا وَاعِيًا، فَيَنْطَلِقُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ إِلَىٰ مَكَّةَ فَيُصْبِحُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَا يَسْمَعُ بِخَبَرٍ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِهِ إِلَيْهِمَا حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ(١).

فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَطْلُبُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَتَسْعَىٰ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ؛ لِيُدْرِكُوا النَّبِيَّ ﷺ، حَتَّىٰ جَعَلُوا لِمَنْ يَأْتِي بِهِمَا أَوْ بِأَحَدِهِمَا دِيَتَهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ؛ وَلَكِنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُمَا يَحْفَظُهُمَا بِعِنَايَتِهِ، وَيَرْعَاهُمَا بِرِعَايَتِهِ؛ حَتَّىٰ إِنَّ قُرَيْشًا لَيَقِفُونَ عَلَىٰ بَابِ الْغَارِ فَلَا يَرَوْنَهُمَا.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٥: ٩، رَقْمُ ٣٩٠٥) وَفِي مَوَاضِعَ، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا».

فَقَالَ: «**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**»(١)، «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»(٢). حَتَّىٰ إِذَا سَكَنَ الطَّلَبُ عَنْهُمَا قَلِيلًا خَرَجَا مِنَ الْغَارِ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ مُتَّجِهِينَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ عَلَىٰ طَرِيقِ السَّاحِلِ.

وَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِخُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ؛ كَانُوا يَخْرُجُونَ صَبَاحَ كُلِّ يَوْمٍ إِلَىٰ الْحَرَّةِ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ حَتَّىٰ يَطْرُدَهُمْ حَرُّ الشَّمْسِ.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَعَالَىٰ النَّهَارُ، وَاشْتَدَّ الْحَرُّ؛ رَجَعُوا إِلَىٰ بُيُوتِهِمْ، وَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَىٰ أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ يَنْظُرُ لِحَاجَةٍ لَهُ، فَأَبْصَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مُقْبِلِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكْ أَنْ نَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: «يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ! هَذَا جَدُّكُمْ -يَعْنِي: هَذَا حَظُّكُمْ وَعِزُّكُمْ- الَّذِي تَنْتَظِرُونَ».

فَهَبَّ الْمُسْلِمُونَ لِلِقَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُمُ السِّلَاحُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِيذَانًا بِاسْتِعْدَادِهِمْ لِلْجِهَادِ وَالدِّفَاعِ دُونَهُ ﷺ، فَتَلَقَّوْهُ ﷺ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ٣٠: ١، رَقْمُ ٣٦٥٢)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الزُّهْدِ، ١٩: ١، رَقْمُ ٢٠٠٩)، مِنْ حَدِيثِ: الْبَرَاءِ رضي الله عنه.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ٣٠: ٢، رَقْمُ ٣٦٥٣)، وَمُسْلِمٌ فِي (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، ١: ١، رَقْمُ ٢٣٨١)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رضي الله عنه.

بِظَاهِرِ الْحَرَّةِ فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَنَزَلَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فِي قُبَاءٍ، وَأَقَامَ فِيهِمْ بِضْعَ لَيَالٍ وَأَسَّسَ الْمَسْجِدَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، وَآخَرُونَ يَتَلَقَّوْنَهُ فِي الطُّرُقَاتِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «خَرَجَ النَّاسُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِي الطُّرُقِ وَعَلَىٰ الْبُيُوتِ، وَالْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ يَقُولُونَ: اللهُ أَكْبَرُ! جَاءَ رَسُولُ اللهِ، اللهُ أَكْبَرُ! جَاءَ مُحَمَّدٌ»(١).

تَعْرِيفُ الْهِجْرَةِ وَحُكْمُهَا وَالدَّلِيلُ

وَالْهِجْرَةُ: الِانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ.

زَادَ النَّوَوِيُّ رحمه الله عَلَىٰ هَذَا التَّعْرِيفِ قَيْدًا آخَرَ؛ قَالَ: أَوْ الِانْتِقَالُ مِنْ دَارِ الْخَوْفِ إِلَىٰ دَارِ الْأَمْنِ، وَعَلَيْهِ تَتَنَزَّلُ هِجْرَةُ الْأَصْحَابِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ.

وَمُنَاسَبَةُ ذِكْرِ الْهِجْرَةِ مَعَ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ؛ لِبَيَانِ أَنَّ الْهِجْرَةَ مِنْ أَبْرَزِ تَكَالِيفِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ.

وَبَلَدُ الشِّرْكِ: هُوَ الَّذِي تُقَامُ فِيهِ شَعَائِرُ الْكُفْرِ، وَلَا تُقَامُ فِيهِ الشَّعَائِرُ وَالْأَحْكَامُ بِوَجْهٍ عَامٍّ، وَأَهَمُّ الشَّعَائِرِ الصَّلَاةُ، فَإِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ الْبَلَدِ فَهُوَ بَلَدٌ إِسْلَامِيٌّ، أَمَّا إِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ يُقِيمُهَا أَفْرَادٌ أَوْ جَمَاعَاتٌ، وَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ مَظَاهِرِ الْبَلَدِ؛ فَلَا يُحْكَمُ عَلَىٰ الْبَلَدِ بِأَنَّهُ بَلَدٌ إِسْلَامِيٌّ؛ كَالْبِلَادِ الَّتِي فِيهَا

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١/ ٢ - ٣، رَقْمُ ٣)، مِنْ حَدِيثِ: الْبَرَاءِ رضي الله عنه، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

أَقَلِّيَّاتٌ مُسْلِمَةٌ، يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ؛ وَلَكِنْ عَلَىٰ نِطَاقٍ ضَيِّقٍ فِي حُدُودِ مُجْتَمَعِهِمُ الَّذِي يَعِيشُونَ فِيهِ، أَوْ فِي حُدُودِ بِيئَتِهِمْ؛ وَلَكِنَّ الْبَلَدَ الَّذِي يُقِيمُونَ فِيهِ أَوْ هُمْ مِنْ أَهْلِهِ لَا تُقَامُ فِيهِ الصَّلَاةُ بِوَجْهٍ عَامٍّ؛ بِحَيْثُ لَا يُسْمَعُ عِنْدَهُمُ الْأَذَانُ فِي جَمِيعِ الْأَنْحَاءِ، هَذَا لَا يُعَدُّ بَلَدًا إِسْلَامِيًّا(١).

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

الْهِجْرَةُ قَرِينَةُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهِيَ فَرِيضَةٌ بَاقِيَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ.

يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ يَحْتَاجُ إِلَىٰ الْهِجْرَةِ أَنْ يُهَاجِرَ.

وَيَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُقِيمَ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ وَلَكِنْ بِشُرُوطٍ، وَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُقِيمَ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إِظْهَارِ دِينِهِ، قَالَ ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(٢)»(٣).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١٦٨ - ١٦٩).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْجِهَادِ، ٢: ١، رَقْمُ ٢٤٧٩)، مِنْ حَدِيثِ: مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (١٢٠٨).

(٣) «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» لِلشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ الْفَوْزَانِ (ص ٢٦٦ - ٢٦٧، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ).

مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

فِي هَذِهِ الْآيَةِ: دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ.. أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَوَفَّاهُمْ، وَتُوَبِّخُهُمْ، وَتَقُولُ لَهُمْ: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا؟!!

أَمَّا الْعَاجِزُونَ عَنِ الْهِجْرَةِ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ؛ لِعَجْزِهِمْ عَنِ الْهِجْرَةِ، وَلَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

ذَكَرَ شَرْطَيْنِ لِيَتِمَّ الِاسْتِثْنَاءُ عَلَىٰ وَجْهِهِ:

الْأَوَّلُ: الْقُدْرَةُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ.

وَالثَّانِي: عَدَمُ التَّمَكُّنِ مِنْ إِظْهَارِ الدِّينِ.

فَإِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ الْهِجْرَةِ، وَغَيْرَ مُمَكَّنٍ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ، وَلَمْ يُهَاجِرْ؛ دَخَلَ فِي الْوَعِيدِ، وَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾؛ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ، هَؤُلَاءِ لَا يَقْدِرُونَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْجِهَادِ، ٢: ١، رَقْمُ ٢٤٧٩)، مِنْ حَدِيثِ: مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (١٢٠٨)، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ، وَحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ**»(١).

وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ: أَلَّا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، أَيْ: لَا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ بَعْدَ الْفَتْحِ؛ لِأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ بِالْفَتْحِ.

«**وَالْهِجْرَةُ مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ ثَلَاثَةُ أَضْرُبٍ، وَالنَّاسُ فِيهَا وَبِالنِّسْبَةِ لَهَا ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ:**

الْأَوَّلُ: تَجِبُ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ مَعَ عَدَمِ إِمْكَانِ إِظْهَارِ دِينِهِ، فَهَذَا يَرْتَكِبُ حَرَامًا بِالْإِجْمَاعِ.

الثَّانِي: مَنْ لَا هِجْرَةَ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْعَاجِزُ؛ إِمَّا لِمَرَضٍ، أَوْ إِكْرَاهٍ عَلَىٰ الْإِقَامَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْخُرُوجَ، أَوْ ضَعُفَ عَنْهُ؛ كَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ، فَهَؤُلَاءِ لَا هِجْرَةَ عَلَيْهِمْ.

الثَّالِثُ: مَنْ تُسْتَحَبُّ لَهُ الْهِجْرَةُ، وَلَا تَجِبُ عَلَيْهِ، وَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ؛ لَكِنَّهُ مُتَمَكِّنٌ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ، فَهَذَا تُسْتَحَبُّ لَهُ الْهِجْرَةُ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ، وَتَكْثِيرِ الْمُسْلِمِينَ، فَهَذَا لَا تَجِبُ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ»(٢).

حُكْمُ السَّفَرِ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ وَالْإِقَامَةِ فِيهَا

السَّفَرُ إِلَىٰ بِلَادِ الْكُفَّارِ لَا يَجُوزُ إِلَّا بِثَلَاثَةِ شُرُوطٍ:

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٥: ٤، رَقْمُ ٣٩٠٠)، وَفِي (الْمَغَازِي، ٥٣: ٩، رَقْمُ ٤٣١٢)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِمَارَةِ، ٢٠: ٦، رَقْمُ ١٨٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١٧١ - ١٧٢).

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ عِلْمٌ يَدْفَعُ بِهِ الشُّبُهَاتِ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ دِينٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ.

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَىٰ ذَلِكَ.

فَإِنْ لَمْ تَتِمَّ هَذِهِ الشُّرُوطُ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ السَّفَرُ إِلَىٰ بِلَادِ الْكُفَّارِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، أَوْ خَوْفِ الْفِتْنَةِ، وَفِيهِ إِضَاعَةُ الْمَالِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُنْفِقُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً فِي هَذِهِ الْأَسْفَارِ.

أَمَّا إِذَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَىٰ ذَلِكَ لِعِلَاجٍ، أَوْ تَلَقِّي عِلْمٍ لَا يُوجَدُ فِي بَلَدِهِ، وَكَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَدِينٌ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا؛ فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ.

وَأَمَّا السَّفَرُ لِلسِّيَاحَةِ فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ فَهَذَا لَيْسَ بِحَاجَةٍ.

وَأَمَّا الْإِقَامَةُ فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ فَإِنَّ خَطَرَهَا عَظِيمٌ عَلَىٰ دِينِ الْمُسْلِمِ، وَأَخْلَاقِهِ، وَسُلُوكِهِ، وَآدَابِهِ، وَقَدْ شَاهَدْنَا وَغَيْرُنَا انْحِرَافَ كَثِيرٍ مِمَّنْ أَقَامُوا هُنَاكَ، فَرَجَعُوا بِغَيْرِ مَا ذَهَبُوا بِهِ، رَجَعُوا فُسَّاقًا، وَبَعْضُهُمْ رَجَعَ مُرْتَدًّا عَنْ دِينِهِ وَكَافِرًا بِهِ وَبِسَائِرِ الْأَدْيَانِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-؛ حَتَّىٰ صَارُوا إِلَىٰ الْجُحُودِ الْمُطْلَقِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالدِّينِ وَأَهْلِهِ، السَّابِقِينَ مِنْهُمْ وَاللَّاحِقِينَ؛ وَلِهَذَا كَانَ يَنْبَغِي.. بَلْ يَتَعَيَّنُ التَّحَفُّظُ مِنْ ذَلِكَ، وَوَضْعُ الشُّرُوطِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنَ الْهُوِيِّ فِي تِلْكَ الْمَهَالِكِ.

فَالْإِقَامَةُ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ شَرْطَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَمْنُ الْمُقِيمِ عَلَىٰ دِينِهِ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَقُوَّةِ الْعَزِيمَةِ مَا يُطَمْئِنُهُ عَلَىٰ الثَّبَاتِ عَلَىٰ دِينِهِ، وَالْحَذَرِ مِنَ الِانْحِرَافِ وَالزَّيْغِ،

وَأَنْ يَكُونَ مُضْمِرًا لِعَدَاوَةِ الْكَافِرِينَ وَبُغْضِهِمْ، مُبْتَعِدًا عَنْ مُوَالَاتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ؛ فَإِنَّ مُوَالَاتَهُمْ وَمَحَبَّتَهُمْ مِمَّا يُنَافِي الْإِيمَانَ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ؛ بِحَيْثُ يَقُومُ بِشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ بِدُونِ مُمَانِعٍ، فَلَا يُمْنَعُ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ إِنْ كَانَ مَعَهُ مَنْ يُصَلِّي جَمَاعَةً وَمَنْ يُقِيمُ الْجُمُعَةَ، وَلَا يُمْنَعُ مِنَ الزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَغَيْرِهَا مِنْ شَعَائِرِ الدِّينِ، فَإِنْ كَانَ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ لَمْ تَجُزِ الْإِقَامَةُ؛ لِوُجُوبِ الْهِجْرَةِ حِينَئِذٍ.

وَبَعْدَ تَمَامِ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ الْأَسَاسِيَّيْنِ تَنْقَسِمُ الْإِقَامَةُ فِي دَارِ الْكُفْرِ إِلَىٰ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: أَنْ يُقِيمَ لِلدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالتَّرْغِيبِ فِيهِ، فَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْجِهَادِ؛ فَهِيَ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَىٰ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا، بِشَرْطِ أَنْ تَتَحَقَّقَ الدَّعْوَةُ، وَأَلَّا يُوجَدَ مَنْ يَمْنَعُ مِنْهَا أَوْ مِنَ الِاسْتِجَابَةِ إِلَيْهَا.

الْقِسْمُ الثَّانِي: أَنْ يُقِيمَ لِدِرَاسَةِ أَحْوَالِ الْكَافِرِينَ، وَالتَّعَرُّفِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ فَسَادِ الْعَقِيدَةِ، وَبُطْلَانِ التَّعَبُّدِ، وَانْحِلَالِ الْأَخْلَاقِ، وَفَوْضَوِيَّةِ السُّلُوكِ؛ لِيُحَذِّرَ النَّاسَ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِهِمْ.

لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ شَرْطٍ؛ أَنْ يَتَحَقَّقَ مُرَادُهُ بِدُونِ مَفْسَدَةٍ أَعْظَمَ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ مُرَادُهُ بِأَنْ مُنِعَ مِنْ نَشْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ؛ فَلَا فَائِدَةَ مِنْ إِقَامَتِهِ، وَإِنْ تَحَقَّقَ مُرَادُهُ مَعَ مَفْسَدَةٍ أَعْظَمَ؛ مِثْلَ أَنْ يُقَابِلُوا فِعْلَهُ بِسَبِّ الْإِسْلَامِ، وَرَسُولِ الْإِسْلَامِ، وَأَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ؛ وَجَبَ الْكَفُّ.

وَيُشْبِهُ هَذَا أَنْ يُقِيمَ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ لِيَكُونَ عَيْنًا لِلْمُسْلِمِينَ؛ لِيَعْرِفَ مَا يُدَبِّرُونَهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَكَايِدِ فَيَحْذَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، كَمَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ؛ لِيَعْرِفَ خَبَرَهُمْ(١).

بِشَرْطِ أَلَّا يَتَأَثَّرَ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَذْهَبُ بِهَذِهِ النِّيَّةِ، ثُمَّ يَعُودُ فَاسِدًا هُوَ، وَقَدْ يَعُودُ مُرْتَدًّا، وَقَدْ يُخْدَعُ حَتَّىٰ يَمْدَحَهُمْ، وَيَمْدَحَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَذُمَّ مَا الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ، وَهَذَا خَطَرٌ كَبِيرٌ.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: أَنْ يُقِيمَ لِحَاجَةِ الدَّوْلَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَتَنْظِيمِ عَلَاقَاتِهَا مَعَ دَوْلَةِ الْكُفْرِ؛ كَمُوَظَّفِي السِّفَارَاتِ، فَحُكْمُهَا حُكْمُ مَا أَقَامَ مِنْ أَجْلِهِ.

فَالْمُلْحَقُ الثَّقَافِيُّ -مَثَلًا- يُقِيمُ لِيَرْعَىٰ شُئُونَ الطَّلَبَةِ، وَيُرَاقِبَهُمْ، وَيَحْمِلَهُمْ عَلَىٰ الْتِزَامِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَأَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ، فَيَحْصُلُ بِإِقَامَتِهِ مَصْلَحَةٌ كَبِيرَةٌ، وَيَنْدَرِئُ بِهَا شَرٌّ كَبِيرٌ.

بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ هُوَ حَائِزًا الشُّرُوطَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَفَّرَ فِيمَنْ يُسَافِرُ إِلَىٰ دِيَارِ الْكُفْرِ: إِلَىٰ الْعِلْمِ الَّذِي يَدْفَعُ بِهِ الشُّبْهَةَ، وَالدِّينِ وَالْوَرَعِ الَّذِي يَكُفُّ بِهِ الشَّهْوَةَ، وَأَنْ تَكُونَ الْحَاجَةُ مَاسَّةً.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: أَنْ يُقِيمَ لِحَاجَةٍ خَاصَّةٍ مُبَاحَةٍ، كَالتِّجَارَةِ، وَالْعِلَاجِ؛ فَتُبَاحُ الْإِقَامَةُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَقَدْ نَصَّ أَهْلُ الْعِلْمِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- عَلَىٰ جَوَازِ دُخُولِ بِلَادِ الْكُفَّارِ لِلتِّجَارَةِ، وَأَثَرُوا ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (الْجِهَادُ، ٣٦، رَقْمُ ١٧٨٨).

الْقِسْمُ الْخَامِسُ: أَنْ يُقِيمَ لِلدِّرَاسَةِ، وَهِيَ مِنْ جِنْسِ مَا قَبْلَهَا -إِقَامَةٌ لِحَاجَةٍ-؛ لَكِنَّهَا أَخْطَرُ مِنْهَا، وَأَشَدُّ فَتْكًا بِدِينِ الْمُقِيمِ وَأَخْلَاقِهِ؛ فَإِنَّ الطَّالِبَ يَشْعُرُ بِتَدَنِّي مَرْتَبَتِهِ، وَعُلُوِّ مَرْتَبَةِ مُعَلِّمِيهِ، فَيَحْصُلُ مِنْ ذَلِكَ تَعْظِيمُهُمْ، وَالِاقْتِنَاعُ بِآرَائِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ، فَيُقَلِّدُهُمْ؛ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ عِصْمَتَهُ -وَهُمْ قَلِيلٌ-، ثُمَّ إِنَّ الطَّالِبَ يَشْعُرُ بِحَاجَتِهِ إِلَىٰ مُعَلِّمِهِ، فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَىٰ التَّوَدُّدِ إِلَيْهِ، وَمُدَاهَنَتِهِ فِيمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الِانْحِرَافِ وَالضَّلَالِ.

وَالطَّالِبُ فِي مَقَرِّ تَعَلُّمِهِ لَهُ زُمَلَاءُ يَتَّخِذُ مِنْهُمْ أَصْدِقَاءَ، يُحِبُّهُمْ وَيَتَوَلَّاهُمْ، وَيَكْتَسِبُ مِنْهُمْ.

وَمِنْ أَجْلِ خَطَرِ هَذَا الْقِسْمِ وَجَبَ التَّحَفُّظُ فِيهِ أَكْثَرَ مِمَّا قَبْلَهُ، فَيُشْتَرَطُ فِيهِ بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ الشَّرْطَيْنِ الْأَسَاسِيَّيْنِ شُرُوطٌ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الطَّالِبُ عَلَىٰ مُسْتَوًىٰ كَبِيرٍ مِنَ النُّضُوجِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ النَّافِعِ وَالضَّارِّ، وَيَنْظُرُ بِهِ إِلَىٰ الْمُسْتَقْبَلِ الْبَعِيدِ، فَأَمَّا بَعْثُ الْأَحْدَاثِ -صِغَارِ السِّنِّ- وَذَوِي الْعُقُولِ الصَّغِيرَةِ؛ فَهُوَ خَطَرٌ عَظِيمٌ عَلَىٰ دِينِهِمْ، وَخُلُقِهِمْ، وَسُلُوكِهِمْ، ثُمَّ هُوَ خَطَرٌ عَلَىٰ أُمَّتِهِمْ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الطَّالِبِ مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَا يَتَمَكَّنُ بِهِ مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَمُقَارَعَةِ الْبَاطِلِ بِالْحَقِّ؛ لِئَلَّا يَنْخَدِعَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ فَيَظُنُّهُ حَقًّا، أَوْ يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ، أَوْ يَعْجِزُ عَنْ دَفْعِهِ فَيَبْقَىٰ حَيْرَانَ، أَوْ يَتَّبِعُ الْبَاطِلَ.

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الطَّالِبِ دِينٌ يَحْمِيهِ وَيَتَحَصَّنُ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ، فَضَعِيفُ الدِّينِ لَا يَسْلَمُ مَعَ الْإِقَامَةِ هُنَاكَ -إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ-.

الشَّرْطُ الرَّابِعُ: أَنْ تَدْعُوَ الْحَاجَةُ إِلَىٰ الْعِلْمِ الَّذِي أَقَامَ مِنْ أَجْلِهِ؛ بِأَنْ يَكُونَ فِي تَعَلُّمِهِ مَصْلَحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَلَا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ فِي الْمَدَارِسِ فِي بِلَادِهِمْ.

الْقِسْمُ الْخَامِسُ: أَنْ يُقِيمَ لِلسَّكَنِ، وَهَذَا أَخْطَرُ مِمَّا قَبْلَهُ وَأَعْظَمُ؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ بِالِاخْتِلَاطِ التَّامِّ بِأَهْلِ الْكُفْرِ، وَشُعُورِهِ بِأَنَّهُ مُوَاطِنٌ مُلْتَزِمٌ بِمَا تَقْتَضِيهِ الْوَطَنِيَّةُ مِنْ مَوَدَّةٍ وَمُوَالَاةٍ، وَتَكْثِيرٍ لِسَوَادِ الْكُفَّارِ، وَيَتَرَبَّىٰ أَهْلُهُ بَيْنَ أَهْلِ الْكُفْرِ، فَيَأْخُذُونَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ، وَرُبَّمَا قَلَّدُوهُمْ فِي الْعَقِيدَةِ وَالتَّعَبُّدِ.

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ**».

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! وَلِمَ؟».

قَالَ: «**لَا تَرَاءَىٰ نَارَاهُمَا**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ[1].

وَكَيْفَ تَطِيبُ نَفْسُ مُؤْمِنٍ أَنْ يَسْكُنَ فِي بِلَادِ كُفَّارٍ تُعْلَنُ فِيهَا شَعَائِرُ الْكُفْرِ، وَيَكُونُ الْحُكْمُ فِيهَا لِغَيْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ؟!! وَهُوَ يُشَاهِدُ ذَلِكَ بِعَيْنِهِ، وَيَسْمَعُهُ بِأُذُنَيْهِ، وَيَرْضَىٰ بِهِ؛ بَلْ يَنْتَسِبُ إِلَىٰ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَيَسْكُنُ فِيهَا بِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا كَمَا يَطْمَئِنُّ إِلَىٰ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَطَرِ الْعَظِيمِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ فِي دِينِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْجِهَادِ، ١٠٣، رَقْمُ ٢٦٤٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي (السِّيَرِ، ٤٢: ١، رَقْمُ ١٦٠٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (١٢٠٧).

الْأَمْرُ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الِاسْتِقْرَارِ بِالْمَدِينَةِ

لَمَّا اسْتَقَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي مَكَّةَ دَعَا إِلَىٰ التَّوْحِيدِ نَحْوَ عَشْرِ سِنِينَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فِي مَكَّةَ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَلَمْ تُفْرَضْ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ، وَلَا الصِّيَامُ، وَلَا الْحَجُّ، وَلَا غَيْرُهَا مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ.

وَكَذَلِكَ الْأَذَانُ، وَالْجُمُعَةُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْجَمَاعَةَ كَذَلِكَ لَمْ تُفْرَضْ إِلَّا فِي الْمَدِينَةِ؛ لِأَنَّ الْأَذَانَ الَّذِي فِيهِ الدَّعْوَةُ لِلْجَمَاعَةِ فُرِضَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، فَأَمَّا الزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ فَقَدْ فُرِضَا فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَأَمَّا الْحَجُّ فَلَمْ يُفْرَضْ إِلَّا فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ -عَلَىٰ الْقَوْلِ الرَّاجِحِ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ-، وَذَلِكَ حِينَ كَانَتْ مَكَّةُ بَلَدَ إِسْلَامٍ بَعْدَ فَتْحِهَا فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الشَّعَائِرِ الظَّاهِرَةِ؛ كُلُّهَا فُرِضَتْ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ اسْتِقْرَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا، وَإِقَامَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِيهَا.

وَفَاةُ النَّبِيِّ ﷺ

أَخَذَ ﷺ عَلَىٰ تَبْلِيغِ الشَّرِيعَةِ وَبَيَانِهَا عَشْرَ سِنِينَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ، فَلَمَّا أَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ بِهِ النِّعْمَةَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ؛ اخْتَارَهُ اللهُ لِجِوَارِهِ، وَاللَّحَاقِ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ

مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، «فَابْتَدَأَ بِهِ الْمَرَضُ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- فِي آخِرِ شَهْرِ صَفَرٍ، وَأَوَّلِ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، فَخَرَجَ إِلَىٰ النَّاسِ عَاصِبًا رَأْسَهُ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَتَشَهَّدَ(١)، وَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِ اسْتَغْفَرَ لِلشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي أُحُدٍ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ**».

فَفَهِمَهَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه **فَبَكَىٰ، وَقَالَ**: «بِأَبِي وَأُمِّي! نَفْدِيكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَبْنَائِنَا، وَأَنْفُسِنَا، وَأَمْوَالِنَا».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَىٰ رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ؛ وَلَكِنْ خُلَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ**»(٢)، وَأَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ(٣).

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ الثَّانِيَ عَشَرَ أَوِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ؛ اخْتَارَهُ اللهُ لِجِوَارِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ جَعَلَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي مَاءٍ عِنْدَهُ وَيَمْسَحُ وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ! إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**»، ثُمَّ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ**»(٤).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الصَّلَاةِ، ٨٠: ٢، رَقْمُ ٤٦٧)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الصَّلَاةِ، ٨٠: ١، رَقْمُ ٤٦٦)، وَمُسْلِمٌ فِي (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، ١: ٢، رَقْمُ ٢٣٨٢)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْأَذَانِ، ٣٩، رَقْمُ ٦٦٤) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الصَّلَاةِ، ٢١: ٦، رَقْمُ ٤١٨)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَغَازِي، ٨٣: ١٧، رَقْمُ ٤٤٤٩)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

فَتُوُفِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَاضْطَرَبَ النَّاسُ لِذَلِكَ، وَحُقَّ لَهُمْ أَنْ يَضْطَرِبُوا؛ حَتَّىٰ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠]»، فَاشْتَدَّ بُكَاءُ النَّاسِ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ(١).

فَغُسِّلَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- فِي ثِيَابِهِ تَكْرِيمًا لَهُ(٢)، ثُمَّ كُفِّنَ بِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ -أَيْ: لَفَائِفَ بِيضٍ سُحُولِيَّةٍ- لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ(٣)، وَصَلَّىٰ النَّاسُ عَلَيْهِ أَرْسَالًا بِدُونِ إِمَامٍ(٤)، ثُمَّ دُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ بَعْدَ أَنْ تَمَّتْ مُبَايَعَةُ الْخَلِيفَةِ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ٣٤: ٩، رَقْمُ ٣٦٦٧)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْجَنَائِزِ، ٣٢: ٢، رَقْمُ ٣١٤١)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي (الْجَنَائِزِ، ٩: ١، رَقْمُ ١٤٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٥٩٤٨)، وَ«الْإِرْوَاءِ» (٧٠٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْجَنَائِزِ، ١٨، رَقْمُ ١٢٦٤)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْجَنَائِزِ، ١٣: ٣، رَقْمُ ٩٤١)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْكُبْرَىٰ» (رَقْمُ ٦٩٠٧)، وَفِي «الدَّلَائِلِ» (٧/ ٢٥٠)، بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُدْخِلَ الرِّجَالُ، فَصَلَّوْا عَلَيْهِ بِغَيْرِ إِمَامٍ أَرْسَالًا حَتَّىٰ فَرَغُوا، ثُمَّ أَدْخَلُوا النِّسَاءَ فَصَلَّيْنَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أُدْخِلَ الصِّبْيَانُ فَصَلَّوْا عَلَيْهِ، ثُمَّ أُدْخِلَ الْعَبِيدُ فَصَلَّوْا عَلَيْهِ أَرْسَالًا، لَمْ يَؤُمَّهُمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدٌ.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ» (٦٣٧٦)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، نَحْوَهُ، مُرْسَلًا، وَأَخْرَجَ أَيْضًا (٦٣٧٧)، وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» (٢/ ٢٩١، دَارُ صَادِر)، =

مِنْ بَعْدِهِ -فَعَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ-.(*).

كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْرِفُونَ رَسُولَ اللهِ!!

صَحِيحٌ!! كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْرِفُونَ الرَّسُولَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَأَكْثَرُ الَّذِينَ يُعَرِّفُونَهُمْ بِالرَّسُولِ لَا يَعْرِفُونَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ؛ لِأَنَّهُمْ مَا عَلِمُوا حَقِيقَةَ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

أَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتَمَسَّكُ بِسُنَّتِهِ، وَيَعْرِفُ لَهُ قَدْرَهُ، وَيُعَظِّمُهُ، وَيُعَزِّرُهُ، وَيُوَقِّرُهُ، وَيُؤْمِنُ بِهِ كَمَالَ الْإِيمَانِ وَتَمَامَ الْإِيمَانِ.

وصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*/٢).

=

بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ، نَحْوَهُ، مُرْسَلًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ» مِنَ (الْمُحَاضَرَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ) إِلَىٰ (الْمُحَاضَرَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ) - السَّبْتُ ١٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ٢٣-٢-٢٠٠٨م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «نَبِيُّنَا مُحَمَّد ﷺ» - ٥ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣ هـ| ٢١- ٠٩ - ٢٠١٢ م.

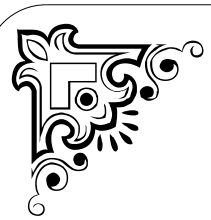

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

دِينُ النَّبِيِّ ﷺ تَامٌّ وَبَاقٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ

فَدِينُ النَّبِيِّ ﷺ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ؛ لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ اللهُ طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً**»(١).

فَهُوَ ﷺ مُرْسَلٌ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَإِلَىٰ عُمُومِ الثَّقَلَيْنِ، إِلَىٰ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، لَمْ يُبْعَثْ إِلَىٰ الْعَرَبِ وَحْدَهُمْ، وَلَا إِلَىٰ الْإِنْسِ وَحْدَهُمْ، بَلْ أَرْسَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً.

«هَذَا أَصْلٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَائِرِ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ؛ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَغَيْرِهِمْ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ الثَّقَلَيْنِ، إِلَىٰ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»(٢).

بِمَا أَنَّ الْجِنَّ مُكَلَّفُونَ فَلَا بُدَّ أَنْ يُبَلِّغَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْيَهُ؛ لِيُقِيمَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ.

وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] أَيْ: أَنَّ دِينَهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بَاقٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا وَقَدْ بَيَّنَ لِلْأُمَّةِ جَمِيعَ مَا تَحْتَاجُهُ فِي جَمِيعِ شُؤُونِهَا؛ حَتَّىٰ قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**مَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ طَائِرًا يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا**»(٣).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الصَّلَاةِ، ٥٦، رَقْمُ ٤٣٨) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْمَسَاجِدِ، ح٣ و٤، رَقْمُ ٥٢١).

(٢) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (١٩/ ٩ - ١٠)، «عَالَمُ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ» لِعُمَرَ الْأَشْقَرِ (ص ٤٤، مَكْتَبَةُ الْفَلَاحِ، الْكُوَيْتُ).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٩/ رَقْمُ ٣٨٩٧)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْمُ ٦٥)، =

فَالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ كُلَّ الدِّينِ؛ إِمَّا بِقَوْلِهِ، وَإِمَّا بِفِعْلِهِ، وَإِمَّا بِإِقْرَارِهِ ابْتِدَاءً، أَوْ جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ، وَأَعْظَمُ مَا بَيَّنَ ﷺ التَّوْحِيدُ.

وَكُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ فَهُوَ خَيْرٌ لِلْأُمَّةِ فِي مَعَادِهَا وَمَعَاشِهَا، وَكُلُّ مَا نَهَىٰ عَنْهُ فَهُوَ شَرٌّ لِلْأُمَّةِ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا.

الدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مَيِّتُونَ، وَأَنَّهُمْ سَيَخْتَصِمُونَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا.

وَمَا جَاءَ مِنَ النُّصُوصِ كَقَوْلِهِ ﷺ: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**»(١)،

=

وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢/ رَقْمُ ١٦٤٧)، وَغَيْرُهُمْ، مِنْ طَرِيقِ: ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ فِطْرٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه.

قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي «أَطْرَافِ الْغَرَائِبِ» (٥/ رَقْمُ ٤٦٥٣): «غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْهُ، وَغَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ فِطْرٍ عَنْهُ، تَفَرَّدَ بِهِ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ»، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٨٠٣): «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ».

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الْمَنَاسِكِ، ٩٧: ٢، رَقْمُ ٢٠٤٢)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٦/ رَقْمُ ١٧٨٠).

هَذَا مَحْمُولٌ عَلَىٰ الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ، لَا كَمَا يَقُولُ الْمُخَرِّفُونَ؛ أَنَّهُ ﷺ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ حَيَاةً دُنْيَوِيَّةً كَحَيَاةِ الْبَشَرِ فِي الدُّنْيَا!!

اللهُ أَعْلَمُ بِكَيْفِيَّةِ الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ، وَلَكِنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «**فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**» مَحْمُولٌ عَلَىٰ الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِكَيْفِيَّتِهَا.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾: هَذَا رَدٌّ عَلَىٰ مَنِ ادَّعَىٰ أَنَّهُ ﷺ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ، يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَيَحْيَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.

الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَدَلِيلُهُ

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٢٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧-١٨].

النَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، يَبْعَثُهُمُ اللهُ ﷻ أَحْيَاءً بَعْدَ مَوْتِهِمْ لِلْجَزَاءِ، وَهَذَا هُوَ النَّتِيجَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ؛ أَنْ يَعْمَلَ الْإِنْسَانُ لِهَذَا الْيَوْمِ يَوْمِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، الْيَوْمُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ﷻ مِنْ أَحْوَالِهِ وَأَهْوَالِهِ مَا يَجْعَلُ الْقَلْبَ يُنِيبُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، وَيَخْشَىٰ هَذَا الْيَوْمَ.

أَدِلَّةُ الْبَعْثِ تَضَمَّنَتْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ:

الْأَوَّلُ: تَضَمَّنَتْ كَمَالَ قُدْرَةِ اللهِ.

وَالثَّانِي: تَضَمَّنَتْ كَمَالَ عِلْمِ اللهِ.

وَالثَّالِثُ: تَضَمَّنَتْ كَمَالَ عَدْلِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ؛ لِيَلْقَىٰ كُلُّ عَامِلٍ جَزَاءَهُ فِي الْآخِرَةِ.

الْإِيمَانُ بِالْحِسَابِ وَدَلِيلُهُ

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ، وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

النَّاسُ بَعْدَ الْبَعْثِ يُجَازَوْنَ، وَيُحَاسَبُونَ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

الْأَمْرُ لَا يَنْتَهِي بِالْبَعْثِ حَتَّىٰ يُحَاسَبَ النَّاسُ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْسَامٌ:

الْأَوَّلُ -نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ-: مَنْ لَا يُحَاسَبُ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا سَابِقَةِ عَذَابٍ(١).

---

(١) لِمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الطِّبِّ، ١٧: ٢، رَقْمُ ٥٧٠٥) وَفِي (الرِّقَاقِ، ٢١، رَقْمُ ٦٤٧٢)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٩٤: ٨، رَقْمُ ٢٢٠)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»، الْحَدِيثَ.

الثَّانِي مِنَ الْأَقْسَامِ: مَنْ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَهُوَ الْعَرْضُ فَقَطْ، وَهَذَا مِنَ السُّعَدَاءِ أَيْضًا.

الثَّالِثُ مِنَ الْأَقْسَامِ: مَنْ يُحَاسَبُ حِسَابَ مُنَاقَشَةٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١): «**مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ**».

حُكْمُ التَّكْذِيبِ بِالْبَعْثِ

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن: ٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾ [الفرقان: ١١].

وَأَمَّا إِقْنَاعُ هَؤُلَاءِ الْمُنْكِرِينَ فَبِمَا يَأْتِي:

أَوَّلًا: أَنَّ أَمْرَ الْبَعْثِ تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ، وَتَلَقَّتْهُ أُمَمُهُمْ بِالْقَبُولِ؛ فَكَيْفَ تُنْكِرُونَهُ وَأَنْتُمْ تُصَدِّقُونَ بِمَا يُنْقَلُ إِلَيْكُمْ عَنْ فَيْلَسُوفٍ، أَوْ صَاحِبِ مَبْدَأٍ أَوْ فِكْرَةٍ؛ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ مَا بَلَغَهُ الْخَبَرُ عَنِ الْبَعْثِ، لَا فِي وَسِيلَةِ النَّقْلِ، وَلَا فِي شَهَادَةِ الْوَاقِعِ؟!!

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْعِلْمِ، ٣٦، رَقْمُ ١٠٣)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (صِفَةِ الْجَنَّةِ، ١٨، رَقْمُ ٢٨٧٦).

ثَانِيًا: أَنَّ أَمْرَ الْبَعْثِ قَدْ شَهِدَ الْعَقْلُ بِإِمْكَانِهِ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

١ - كُلُّ أَحَدٍ لَا يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا بَعْدَ الْعَدَمِ، وَأَنَّهُ حَادِثٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَالَّذِي خَلَقَهُ وَأَحْدَثَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ بِالْأَوْلَىٰ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

ثَالِثًا: أَنَّ أَمْرَ الْبَعْثِ قَدْ شَهِدَ الْحِسُّ وَالْوَاقِعُ بِإِمْكَانِهِ فِيمَا أَخْبَرَنَا اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ مِنْ وَقَائِعِ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ.

رَابِعًا: أَنَّ الْحِكْمَةَ تَقْتَضِي الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ لِتُجَازَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ خَلْقُ النَّاسِ عَبَثًا لَا قِيمَةَ لَهُ، وَلَا حِكْمَةَ مِنْهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

فَإِذَا بَيَّنْتَ هَذِهِ الْبَرَاهِينَ لِمُنْكِرِي الْبَعْثِ، وَأَصَرُّوا عَلَىٰ إِنْكَارِهِمْ؛ فَهُمْ مُكَابِرُونَ مُعَانِدُونَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

الْحِكْمَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

﴿مُّبَشِّرِينَ﴾: يُبَشِّرُونَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ بِالْجَنَّةِ.

وَ(**التَّبْشِيرُ**) **مَعْنَاهُ:** ذِكْرُ الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ لِمَنْ أَطَاعَهُ.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾: يُنْذِرُونَ أَهْلَ الشِّرْكِ وَسَائِرِ الْمَعَاصِي بِالنَّارِ.

وَ(الْإِنْذَارُ): تَخْوِيفُ الْعَاصِي وَالْكَافِرِ مِنْ سَخَطِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَعِقَابِهِ، وَقَدْ يَأْتِي التَّبْشِيرُ -أَحْيَانًا- فِي الْعَذَابِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الانشقاق: ٢٤]، وَهَذَا لِزِيَادَةِ تَبْكِيتِهِمْ.

إِنَّ التَّبْشِيرَ فِي الْأَصْلِ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَا يَسُرُّ، فَإِذَا سَمِعُوا ﴿فَبَشِّرْهُم﴾، ثُمَّ تَلَا ذَلِكَ: ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ كَانَ أَقْسَىٰ وَقْعًا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ(١).

أَرْسَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَيُنْذِرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ بِالنَّارِ.

وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ لَهُ حِكَمٌ عَظِيمَةٌ، مِنْ أَهَمِّهَا؛ بَلْ هُوَ أَهَمُّهَا: أَنْ تَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَىٰ النَّاسِ؛ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ لَهُمْ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾.

وَأَعْظَمُ مَا دَعَا إِلَيْهِ الرُّسُلُ مِنْ أَوَّلِهِمْ نُوحٍ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إِلَىٰ آخِرِهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ: التَّوْحِيدُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١٩٥ - ١٩٦).

أَوَّلُ الرُّسُلِ وَآخِرُهُمْ

وَأَوَّلُ الرُّسُلِ نُوحٌ عليه السلام، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ عليه السلام: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

«وَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ مِنَ الْبَعْدِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾، فَلَوْ كَانَ هُنَاكَ رَسُولٌ قَبْلَ نُوحٍ لَذَكَرَ»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(٢)»(٣).

دَعْوَةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ؛ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١٩٧).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْفِتَنِ، ١: ١٣، رَقْمُ ٤٢٥٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي (الْفِتَنِ، ٤٣: ٢، رَقْمُ ٢٢١٩)، مِنْ حَدِيثِ: ثَوْبَانَ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٥٤٠٦).

(٣) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ١٩٨).

هَذَا هُوَ مَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

﴿بَعَثْنَا﴾ أَيْ: أَرْسَلْنَا.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

كُلُّ رَسُولٍ أُرْسِلَ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ؛ كُفْرٌ بِكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَعِبَادَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ.(*).

هَلْ تَعْرِفُونَ الرَّسُولَ ﷺ حَقًّا؟!!

عِبَادَ اللهِ! كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ مَا يَدْفَعُهُ لِمُتَابَعَتِهِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا، فَإِذَا كَانُوا جَاهِلِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ بَلْ كَانُوا جَاهِلِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْأَلَ الشَّبَابَ وَمَنْ فَوْقَهُمْ مِنَ الْكُهُولِ وَالشُّيُوخِ، يُمْكِنُ أَنْ تَسْأَلَهُمْ عَنْ خُصُوصِيَّاتِ مَنْ يَعْشِقُونَهُ مِنْ لَاعِبِي الْكُرَةِ، وَالْمُمَثِّلِينَ، وَالْمُغَنِّينَ، وَمَنْ دَارَ فِي هَذَا الْفَلَكِ الْخَاسِرِ، فَسَيُخْبِرُونَكَ؛ هَذَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَبْنَاءِ كَذَا وَكَذَا، وَهَذَا يَفْعَلُ كَذَا وَيَنْتَهِي عَنْ كَذَا، وَهَذَا قَامَ بِإِلْقَاءِ أُغْنِيَةٍ فِي الْمَكَانِ الْفُلَانِيِّ فِي عَامِ كَذَا وَحَدَثَ كَذَا، أُمُورٌ تَفْصِيلِيَّةٌ!!

فَإِذَا سَأَلْتَ الْوَاحِدَ مِنْ هَؤُلَاءِ فَقُلْتَ لَهُ: عَدِّدْ لِي أَبْنَاءَ الرَّسُولِ ﷺ، قُلْ لِي: كَمْ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ) - السَّبْتُ ١٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ٢٣-٢-٢٠٠٨م.

لِلنَّبِيِّ مِن ابْنٍ؟ وَالِابْنُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَدْخُلُ فِيهِ الْبِنْتُ -أَيْضًا-، قُلْ لِي: أَوْلَادُ النَّبِيِّ ﷺ تَعْرِفُهُمْ؟!! سَمِّ لِي أَبْنَاءَ نَبِيِّكَ ﷺ؛ بَلْ أَخْبِرْنِي عَنْ نَسَبِ الرَّسُولِ ﷺ!

لَا يَرْتَفِعُ فَوْقَ جَدِّهِ الْأَوَّلِ، لَا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

فَإِذَا مَا تَرَقَّيْتَ فَقُلْتَ لَهُ: صِفْ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، صِفْ لِي النَّبِيَّ ﷺ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، أَتَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ وَصْفِهِ؟!!

كَيْفَ كَانَ طُولُهُ؟

كَيْفَ كَانَ وَجْهُهُ؟

كَيْفَ كَانَتْ يَدُهُ؟

كَيْفَ كَانَتْ رِجْلُهُ؟

كَيْفَ كَانَتْ بَطْنُهُ؟

كَانَ سَوَاءَ الصَّدْرِ وَالْبَطْنِ ﷺ، وَكَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ -وَهُوَ الْأَبْيَضُ الْمُشْرَبُ بِالْحُمْرَةِ-، وَكَانَ أَدْعَجَ ﷺ -كَانَ شَدِيدَ سَوَادِ الْعَيْنِ-، وَكَانَتْ عَيْنَاهُ بِبَيَاضِهِمَا يُمَازِجُ الْبَيَاضَ فِيهِمَا حُمْرَةٌ؛ وَذَلِكَ مِنَ الْبُكَاءِ، وَمِنَ الْقِيَامِ للهِ جَلَّ وَعَلَا.

رَسُولُ اللهِ كَانَ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، وَكَانَتْ لِحْيَتُهُ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ ﷺ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ -يَعْنِي: غَلِيظَهُمَا-، وَكَانَ ﷺ فِي شَعْرِهِ كَذَا، كَانَ فِي مِشْيَتِهِ كَذَا، كَانَ فِي إِشَارَتِهِ كَذَا ﷺ.

كُلُّ ذَلِكَ مَنْقُولٌ؛ فَمَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ؟!!

لِذَلِكَ يَهُونُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ جِدًّا أَنْ يَعْتَدِيَ سَافِلٌ كَافِرٌ مُنْحَرِفٌ مُجْرِمٌ عَلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَوِ اعْتَدَىٰ هَذَا السَّافِلُ الْمُجْرِمُ عَلَىٰ أَبِي الرَّجُلِ لَمْ يَقْبَلْ، وَلَوِ اعْتَدَىٰ عَلَيْهِ لَمْ يَقْبَلْ؛ وَلَكِنَّهُ يَقْبَلُ أَنْ يُعْتَدَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ، وَالنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِكَ مِنْكَ، النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِكَ مِنْكَ، أَوْلَىٰ بِكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ.

النَّبِيُّ ﷺ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُكَ حَتَّىٰ تُحِبَّهُ أَكْثَرَ مِمَّا تُحِبُّ وَلَدَكَ، وَأَكْثَرَ مِمَّا تُحِبُّ وَالِدَكَ، وَأَكْثَرَ مِمَّا تُحِبُّ النَّاسَ أَجْمَعِينَ؛ بَلْ لَا يَتِمُّ إِيمَانُكَ وَلَا يَكْمُلُ حَتَّىٰ تُحِبَّ النَّبِيَّ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مَحَبَّتِكَ لِنَفْسِكَ، «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِه** -فَذَكَرَ الْأُصُولَ-، **وَوَلَدِهِ** -فَذَكَرَ الْفُرُوعَ-، **وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** -فَذَكَرَ الْحَوَاشِيَ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالْمَرْأَةِ -الزَّوْجَةِ-، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَصْحَابِ، وَالْأَقَارِبِ، وَالْمَعَارِفِ وَالْأَحِبَّاءِ، فَذَكَرَهُمْ جَمِيعًا-»(١).

لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا.

وَكَانَ عُمَرُ يَوْمًا يَمْشِي وَيَدُهُ فِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي».

قَالَ: «**وَلَا هَذِهِ يَا عُمَرُ**».

قَالَ: «الْآنَ يَا رَسُولَ اللهِ».

قَالَ: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**»(٢).

يَعْنِي: الْآنَ أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٢) من حديث عبد الله بن هشام رضي الله عنه.

مَنْ حَقَّقَ هَذَا؟!!

آلرَّسُولُ ﷺ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ؟!!

اسْأَلْ نَفْسَكَ: تُقَدِّمُ أَمْرَهُ عَلَىٰ هَوَاكَ؟!!

تُقَدِّمُ شَرْعَهُ عَلَىٰ مَحَابِّكَ؟!!

تُقَدِّمُ مَحَبَّتَهُ عَلَىٰ مَحَبَّتِكَ لِامْرَأَتِكَ، وَوَلَدِكَ، وَوَالِدِكَ، وَأُمِّكَ؟!!

تُقَدِّمُ مَحَبَّتَهُ عَلَىٰ مَحَبَّتِكَ لِنَفْسِكَ؟!!

سَلْ نَفْسَكَ، وَأَجِبْ أَنْتَ؛ فَإِنْ كَانَ الْجَوَابُ بِالسَّلْبِ فَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ!(*).

وَاللهَ -تَعَالَىٰ- أَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَعْرِفَةِ قَدْرِ نَبِيِّهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ.

وَنَسْأَلُهُ -تَعَالَىٰ- أَنْ يَمْلَأَ قُلُوبَنَا بِمَحَبَّتِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَتَوْقِيرِهِ، وَتَعْظِيمِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا اتِّبَاعَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِقُوَّةِ الدِّفَاعِ عَنْهُ؛ بِاللِّسَانِ، وَالْجَنَانِ، وَالْيَدِ، وَالرُّمْحِ وَالسِّنَانِ؛ إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مَقْطَعٌ بِعُنْوَان: «مَاذَا تَعْرِفُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «نَبِيُّنَا مُحَمَّد ﷺ» - ٥ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣ هـ| ٢١- ٠٩ - ٢٠١٢ م.

الْخُطْبَةُ السَّادِسَةُ:

اعْبُدُوا اللَّهَ

وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

تَعَلُّمُ عَقِيدَتِنَا وَالْعَمَلُ بِهَا سَبِيلُ النَّجَاةِ

فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا -عِبَادَ اللهِ- أَنْ نَتَعَلَّمَ عَقِيدَتَنَا؛ فِيهَا النَّجَاةُ، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُمْكِنُ بِحَالٍ أَنْ تَخْرُجَ الْأُمَّةُ مِنَ الْمَأْزِقِ الَّذِي هِيَ فِيهِ، وَلَا أَنْ تَنْعَتِقَ مِنْ هَذَا الْأَسْرِ الَّذِي كَبَّلَهَا فَشَلَّ حَرَكَتَهَا وَغَلَّ قُوَاهَا إِلَّا بِتَعَلُّمِ عَقِيدَتِهَا، وَتَحْقِيقِ تِلْكَ الْعَقِيدَةِ، وَالْعَمَلِ بِهَا، وَنَشْرِهَا كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَبِهَا سَبَقُوا.

لَا يَنْبَغِي أَنْ تُفَرِّطَ فِي شَيْءٍ مِنْ عَقِيدَتِكَ، يَنْبَغِي أَنْ تَتَعَلَّمَهَا، حَيَاتُكَ، مُسْتَقْبَلُكَ، وَمُسْتَقْبَلُ أُمَّتِكَ.(*).

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ!

لَقَدِ افْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «الطَّاغُوتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ»(٢).

إِنَّ التَّوْحِيدَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاجْتِنَابِ الطَّاغُوتِ، وَقَدْ فَرَضَ اللهُ ذَلِكَ عَلَىٰ عِبَادِهِ.

وَمُرَادُهُ بِالْمَعْبُودِ، وَالْمَتْبُوعِ، وَالْمُطَاعِ: غَيْرُ الصَّالِحِينَ، أَمَّا الصَّالِحُونَ فَلَيْسُوا طَوَاغِيتَ وَإِنْ عُبِدُوا أَوِ اتُّبِعُوا أَوْ أُطِيعُوا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مَقْطَعٌ بِعُنْوَان: «أَهَمِّيَّةُ تَعَلُّمِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ».

(٢) فِي «إِعْلَامِ الْمُوَقِّعِينَ» (١/ ٤٠) (دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ)، وَقَالَ: «فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مَنْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرُ اللهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ يَتَّبِعُونَهُ عَلَىٰ غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ اللهِ، أَوْ يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ؛ فَهَذِهِ طَوَاغِيتُ الْعَالَمِ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا وَتَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ النَّاسِ مَعَهَا رَأَيْتَ أَكْثَرَهُمْ عَدَلُوا مِنْ عِبَادَةِ اللهِ إِلَىٰ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَعَنِ التَّحَاكُمِ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ إِلَىٰ التَّحَاكُمِ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَعَنْ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَةِ رَسُولِهِ إِلَىٰ طَاعَةِ الطَّاغُوتِ وَمُتَابَعَتِهِ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَسْلُكُوا طَرِيقَ النَّاجِينَ الْفَائِزِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهُمُ الصَّحَابَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَلَا قَصَدُوا قَصْدَهُمْ».

فَالْأَصْنَامُ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ طَوَاغِيتُ، وَعُلَمَاءُ السُّوءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَىٰ الضَّلَالِ وَالْكُفْرِ، أَوْ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْبِدَعِ، أَوْ إِلَىٰ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ، أَوْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ طَوَاغِيتُ، وَالَّذِينَ يُزَيِّنُونَ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ بِنُظُمٍ يَسْتَوْرِدُونَهَا مُخَالِفَةٍ لِنِظَامِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ طَوَاغِيتُ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ تَجَاوَزُوا حَدَّهُمْ، فَإِنَّ حَدَّ الْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ حَقِيقَةً وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ.

«**الطَّاغُوتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ؛ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ**».. «**أَوْ مُطَاعٍ**»: هُمُ الْأُمَرَاءُ الَّذِينَ يُطَاعُونَ شَرْعًا أَوْ قَدَرًا، فَالْأُمَرَاءُ يُطَاعُونَ شَرْعًا إِذَا أَمَرُوا بِمَا لَا يُخَالِفُ أَمْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ لَا يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ طَوَاغِيتُ.

وَالْوَاجِبُ لَهُمْ عَلَىٰ الرَّعِيَّةِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَطَاعَتُهُمْ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ فِي هَذَا الْحَالِ بِهَذَا الْقَيْدِ طَاعَةٌ لِلَّهِ ﷻ؛ وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ نُلَاحِظَ حِينَ نُنَفِّذُ مَا أَمَرَ بِهِ وَلِيُّ الْأَمْرِ مِمَّا تَجِبُ طَاعَتُهُ فِيهِ؛ أَنَّنَا فِي ذَلِكَ نَتَعَبَّدُ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ-، وَنَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ تَنْفِيذُنَا لِهَذَا الْأَمْرِ قُرْبَةً إِلَىٰ اللهِ ﷻ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُلَاحِظَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وَأَمَّا طَاعَةُ الْأُمَرَاءِ قَدَرًا؛ فَإِنَّ الْأُمَرَاءَ إِذَا كَانُوا أَقْوِيَاءَ فِي سُلْطَتِهِمْ فَإِنَّ النَّاسَ يُطِيعُونَهُمْ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِوَازِعِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ طَاعَةَ وَلِيِّ الْأَمْرِ تَكُونُ بِوَازِعِ الْإِيمَانِ، وَهَذِهِ هِيَ الطَّاعَةُ النَّافِعَةُ -النَّافِعَةُ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ، وَالنَّافِعَةُ لِلنَّاسِ أَيْضًا-، وَقَدْ تَكُونُ الطَّاعَةُ بِوَازِعِ السُّلْطَانِ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ قَوِيًّا يَخْشَىٰ النَّاسُ مِنْهُ وَيَهَابُونَهُ؛ لِأَنَّهُ يُنَكِّلُ بِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ.

«إِنَّ اللهَ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ»، كَمَا قَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه(١).

أَحْوَالُ النَّاسِ مَعَ حُكَّامِهِمْ

إِنَّ النَّاسَ مَعَ حُكَّامِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَهُمْ أَحْوَالٌ:

الْحَالُ الْأُولَىٰ: أَنْ يَقْوَىٰ الْوَازِعُ الْإِيمَانِيُّ وَالرَّادِعُ السُّلْطَانِيُّ، وَهَذِهِ أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ وَأَعْلَاهَا.

فَيَحْمِلُهُمْ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ عَلَىٰ الْتِزَامِ أَحْكَامِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ.

الْحَالُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَضْعُفَ الْوَازِعُ الْإِيمَانِيُّ وَالرَّادِعُ السُّلْطَانِيُّ، وَهَذِهِ أَدْنَىٰ الْأَحْوَالِ وَأَخْطَرُهَا عَلَىٰ الْمُجْتَمَعِ؛ عَلَىٰ حُكَّامِهِ وَمَحْكُومِيهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا ضَعُفَ الْوَازِعُ الْإِيمَانِيُّ وَالرَّادِعُ السُّلْطَانِيُّ حَصَلَتِ الْفَوْضَىٰ الْفِكْرِيَّةُ، وَالْخُلُقِيَّةُ، وَالْعَمَلِيَّةُ.

الْحَالُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَضْعُفَ الْوَازِعُ الْإِيمَانِيُّ، وَيَقْوَىٰ الرَّادِعُ السُّلْطَانِيُّ، وَهَذِهِ مَرْتَبَةٌ وُسْطَىٰ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَوِيَ الرَّادِعُ السُّلْطَانِيُّ صَارَ أَصْلَحَ لِلْأُمَّةِ فِي الْمَظْهَرِ، فَإِذَا اخْتَفَتْ قُوَّةُ السُّلْطَانِ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حَالِ الْأُمَّةِ وَسُوءِ عَمَلِهَا.

الْحَالُ الرَّابِعَةُ: أَنْ يَقْوَىٰ الْوَازِعُ الْإِيمَانِيُّ، وَيَضْعُفَ الرَّادِعُ السُّلْطَانِيُّ، فَيَكُونُ الْمَظْهَرُ أَدْنَىٰ مِنْهُ فِي الْحَالَةِ الثَّالِثَةِ؛ لَكِنَّهُ فِيمَا بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَرَبِّهِ أَكْمَلُ وَأَعْلَىٰ.

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ شَبَّةَ فِي «تَارِيخِ الْمَدِينَةِ» (٣/ ٩٨٨)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَعَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ: أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه، قَالَ: «**لَمَا يَزَعُ السُّلْطَانُ النَّاسَ أَشَدَّ مِمَّا يَزَعُهُمُ الْقُرْآنُ**»، وَفِي سَنَدِهِ انْقِطَاعٌ، وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، وَلَا يَصِحُّ.

رُؤُوسُ الطَّوَاغِيتِ

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهُمْ -أَيْ: زُعَمَاؤُهُمْ وَمُقَلِّدُوهُمْ- خَمْسَةٌ:

الْأَوَّلُ: إِبْلِيسُ -لَعَنَهُ اللهُ-: هُوَ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ اللَّعِينُ؛ «لِأَنَّهُ الدَّاعِي إِلَىٰ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ أَوَّلُ الطَّوَاغِيتِ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: ٦٠] الْمُرَادُ بِعِبَادَتِهِ هُنَا: طَاعَتُهُ»(١).

قَالَ اللهُ لَهُ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧٨].

وَكَانَ إِبْلِيسُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي صُحْبَتِهِمْ، يَعْمَلُ بِعَمَلِهِمْ، وَلَمَّا أُمِرَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ظَهَرَ مَا فِيهِ مِنَ الْخُبْثِ، وَالْإِبَاءِ، وَالِاسْتِكْبَارِ، فَأَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، فَطُرِدَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

الثَّانِي: مَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، أَيْ: عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهُوَ رَاضٍ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ رُؤُوسِ الطَّوَاغِيتِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، وَسَوَاءٌ عُبِدَ فِي حَيَاتِهِ أَوْ بَعْدَ مَمَاتِهِ إِذَا مَاتَ وَهُوَ رَاضٍ بِأَنْ يُعْبَدَ، وَلَمْ يُحَذِّرْ مِنْهُ.

الثَّالِثُ: مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ وَإِنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ؛ فَإِنَّهُ مِنْ رُؤُوسِ

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٢٠١).

الطَّوَاغِيتِ؛ سَوَاءٌ أُجِيبَ لِمَا دَعَا إِلَيْهِ أَمْ لَمْ يُجَبْ.

الرَّابِعُ: مَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ؛ كَالْمُنَجِّمِينَ، وَالْكُهَّانِ، وَالرَّمَّالِينَ، وَمَا سِوَىٰ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ يَدَّعُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ(١).

مَنِ ادَّعَىٰ عِلْمَ الْغَيْبِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلَّهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ [النمل: ٦٥].

وَإِذَا كَانَ اللهُ ﷻ يَأْمُرُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُعْلِنَ لِلْمَلَإِ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ؛ فَإِنَّ مَنِ ادَّعَىٰ عِلْمَ الْغَيْبِ فَقَدْ كَذَّبَ اللهَ ﷻ وَرَسُولَهُ فِي هَذَا الْخَبَرِ.

وَنَقُولُ لِهَؤُلَاءِ: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَعْلَمُوا الْغَيْبَ وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ؟!! هَلْ أَنْتُمْ أَشْرَفُ أَمِ الرَّسُولُ ﷺ؟!!

وَقَالَ اللهُ ﷻ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

الْخَامِسُ: مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَدَلِيلُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]، فَالَّذِي يَحْكُمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مُسْتَحِلًّا لِذَلِكَ يَكُونُ طَاغُوتًا.(*).

---

(١) «حُصُولُ الْمَأْمُولِ» (ص ٢٠٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ) - السَّبْتُ ١٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ٢٣-٢-٢٠٠٨م.

قَضِيَّةُ الْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ

إِنَّ فِتْنَةَ الْعَصْرِ هِيَ فِي التَّكْفِيرِ بِلَا مُوجِبٍ، وَإِخْرَاجِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ حَظِيرَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَالتَّكِأَةُ الَّتِي يَتَّكِأُ عَلَيْهَا الْمُكَفِّرُونَ عَلَىٰ اخْتِلَافِ مَشَارِبِهِمْ، وَتَنَوُّعِ انْتِمَاءَاتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَعُودُونَ جَمِيعًا إِلَىٰ حَمْأَةٍ مُنْتِنَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَسْلَافُهُمْ مِنَ الْخَوَارِجِ الْمُتَقَدِّمِينَ؛ التَّكِأَةُ الَّتِي يَتَّكِأُ عَلَيْهَا الْمُتَقَدِّمُونَ وَالْمُتَأَخِّرُونَ فِي هَذِهِ الْبَابَةِ هِيَ الْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَفِي هَذَا الْعَصْرِ الْحُكْمُ بِالْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ.(*).

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ: «الْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ تَنْفِيذٌ لِحُكْمِ اللهِ الَّذِي هُوَ مُقْتَضَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ، وَكَمَالِ مُلْكِهِ وَتَصَرُّفِهِ؛ وَلِهَذَا سَمَّىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْمَتْبُوعِينَ فِي غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَرْبَابًا لِمُتَّبِعِيهِمْ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة: ٣١]، فَسَمَّىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْمَتْبُوعِينَ أَرْبَابًا؛ حَيْثُ جُعِلُوا مُشَرِّعِينَ مَعَ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَسَمَّىٰ الْمُتَّبِعِينَ عُبَّادًا؛ حَيْثُ إِنَّهُمْ ذَلُّوا لَهُمْ وَأَطَاعُوهُمْ فِي مُخَالَفَةِ حُكْمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «جَمَاعَاتُ التَّكْفِيرِ وَالْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ» - الْجُمُعَةُ ١١ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٦هـ| ٢-١-٢٠١٥م.

فَالْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، لَيْسَ قِسْمًا مِنْ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ يَقُومُ بِرَأْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ تَنْفِيذٌ لِحُكْمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَتَنْفِيذُ حُكْمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ مُقْتَضَىٰ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

«وَقَدْ قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ فَاتَّبَعُوهُمْ؛ فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ**»[(١)].

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ التَّحَاكُمُ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ وَرَدَتْ فِيهِ آيَاتٌ بِنَفْيِ الْإِيمَانِ عَنْهُ، وَآيَاتٌ بِكُفْرِهِ وَظُلْمِهِ وَفِسْقِهِ.

فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ؛ فَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١٠ التَّوْبَةُ، ١٣، رَقْمُ ٣٠٩٥)، وَحَسَّنَهُ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣٢٩٣).

وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦٥].

فَوَصَفَ اللهُ -تَعَالَىٰ- هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ لِلْإِيمَانِ وَهُمْ مُنَافِقُونَ بِصِفَاتٍ:

الْأُولَىٰ: أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ التَّحَاكُمُ إِلَىٰ الطَّاغُوتِ، وَهُوَ كُلُّ مَا خَالَفَ حُكْمَ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَرَسُولِهِ ﷺ؛ لِأَنَّ مَا خَالَفَ حُكْمَ اللهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ طُغْيَانٌ وَاعْتِدَاءٌ عَلَىٰ حُكْمِ مَنْ لَهُ الْحُكْمُ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ؛ وَهُوَ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ صَدُّوا وَأَعْرَضُوا.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا أُصِيبُوا بِمُصِيبَةٍ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ -وَمِنْهَا: أَنْ يُعْثَرَ عَلَىٰ صَنِيعِهِمْ-؛ جَاءُوا يَحْلِفُونَ أَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا إِلَّا الْإِحْسَانَ وَالتَّوْفِيقَ؛ كَحَالِ مَنْ يَرْفُضُ الْيَوْمَ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ، وَيَحْكُمُ بِالْقَوَانِينِ الْمُخَالِفَةِ لَهَا؛ زَعْمًا مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْإِحْسَانُ الْمُوَافِقُ لِأَحْوَالِ الْعَصْرِ.

ثُمَّ حَذَّرَ -سُبْحَانَهُ- هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ لِلْإِيمَانِ، الْمُتَّصِفِينَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ بِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَا يُكِنُّونَهُ مِنْ أُمُورٍ تُخَالِفُ مَا يَقُولُونَ، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَعِظَهُمْ، وَيَقُولَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ إِرْسَالِ الرَّسُولِ: أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُطَاعَ الْمَتْبُوعَ، لَا غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ؛ مَهْمَا قَوِيَتْ أَفْكَارُهُمْ، وَاتَّسَعَتْ مَدَارِكُهُمْ، ثُمَّ أَقْسَمَ -تَعَالَىٰ- بِرُبُوبِيَّتِهِ لِرَسُولِهِ، الَّتِي هِيَ أَخَصُّ أَنْوَاعِ

الرُّبُوبِيَّةِ، وَالَّتِي تَتَضَمَّنُ الْإِشَارَةَ إِلَىٰ صِحَّةِ رِسَالَتِهِ ﷺ؛ أَقْسَمَ بِهَا قَسَمًا مُؤَكَّدًا أَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ التَّحَاكُمُ فِي كُلِّ نِزَاعٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

الثَّانِي: أَنْ تَنْشَرِحَ الصُّدُورُ بِحُكْمِهِ، وَلَا يَكُونَ فِي النُّفُوسِ حَرَجٌ وَضِيقٌ مِنْهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَحْصُلَ التَّسْلِيمُ بِقَبُولِ مَا حَكَمَ بِهِ، وَتَنْفِيذِهِ بِدُونِ تَوَانٍ أَوِ انْحِرَافٍ.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي؛ فَمِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

وَهَلْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ الثَّلَاثَةُ تَتَنَزَّلُ عَلَىٰ مَوْصُوفٍ وَاحِدٍ؟ بِمَعْنَىٰ: أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَهُوَ كَافِرٌ ظَالِمٌ فَاسِقٌ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- وَصَفَ الْكَافِرِينَ بِالظُّلْمِ وَالْفِسْقِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤].

فَكُلُّ كَافِرٍ ظَالِمٌ فَاسِقٌ.

أَوْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ تَتَنَزَّلُ عَلَىٰ مَوْصُوفِينَ بِحَسَبِ الْحَامِلِ لَهُمْ عَلَىٰ عَدَمِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ؟ هَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ عِنْدِي -وَاللهُ أَعْلَمُ-».

وَهَذَا هُوَ مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَتَنَزَّلُ عَلَىٰ مَوْصُوفِينَ، وَهَؤُلَاءِ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْحُكْمُ عَلَىٰ حَسَبِ حَالِهِمْ:

- فَقَدْ يَكُونُ الَّذِي لَا يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ كَافِرًا.

- وَقَدْ يَكُونُ ظَالِمًا.

- وَقَدْ يَكُونُ فَاسِقًا.

عَلَىٰ حَسَبِ حَالِهِ.

إِذَنْ؛ فِيهَا تَفْصِيلٌ، هَذَا هُوَ مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَهَذَا هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَ الْخَوَارِجِ، وَأَهْلِ السُّنَّةِ، انْشَعَبُوا مِنْ هَذِهِ النُّقْطَةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَيَقُولُونَ بِالتَّفْصِيلِ، وَأَمَّا الْخَوَارِجُ فَيَقُولُونَ: هُوَ الْكُفْرُ الْأَكْبَرُ، وَالظُّلْمُ الْأَكْبَرُ، وَالْفِسْقُ الْأَكْبَرُ؛ كُلُّ ذَلِكَ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ!!

فَلَمْ يُفَصِّلُوا.

فَهَذِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْخَطِيرَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ مِحْنَةٌ لِلْأُمَّةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ.

«مَسْأَلَةُ الْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ» هِيَ مِحْنَةُ الْأُمَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَبِسَبَبِهَا وَقَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْبَلَاءِ -نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَرْفَعَ الْكَرْبَ بِرَحْمَتِهِ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ-.

قَاعِدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ -تَلْخِيصُ الْقَاعِدَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ- هِيَ:

- **مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مُسْتَحِلًّا لِذَلِكَ فَهُوَ طَاغُوتٌ**، يَعْنِي: يَقُولُ: حُكْمِي بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ حَلَالٌ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُطْلَقًا، لَمْ يَنْهَ عَنْهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَا رَسُولُهُ.

هَذَا طَاغُوتٌ.

- **وَكَذَلِكَ الَّذِي يَقُولُ: هَذَا حَلَالٌ، وَهُوَ مُسَاوٍ لِشَرْعِ اللهِ، أَوْ هُوَ أَحْسَنُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ**؛ فَهَذَا طَاغُوتٌ.

- **وَأَمَّا مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَهُوَ يُقِرُّ أَنَّ حُكْمَ اللهِ وَاجِبُ الِاتِّبَاعِ، وَأَنَّ غَيْرَهُ بَاطِلٌ، وَأَنَّهُ يَحْكُمُ بِبَاطِلٍ**؛ فَهَذا كُفْرٌ أَصْغَرُ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ؛ لَكِنَّهُ عَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ.

- **وَأَمَّا مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِغَيْرِ تَعَمُّدٍ، بَلْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الِاجْتِهَادِ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ، وَاجْتَهَدَ وَلَمْ يُصِبْ حُكْمَ اللهِ**، يَعْنِي: إِذَا قَالَ: الْحُكْمُ كَذَا وَكَذَا فِي الْمَسْأَلَةِ، وَيَكُونُ الَّذِي قَالَهُ مُخَالِفًا لِحُكْمِ اللهِ؛ يَكُونُ -حِينَئِذٍ- حَاكِمًا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا أُوتِيَ مِنْ قِبَلِ الْخَطَأِ وَالْغَلَطِ، فَهَذا لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَهَذَا مَغْفُورٌ لَهُ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الِاعْتِصَامِ، ٢١، رَقْمُ ٧٣٥٢)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْأَقْضِيَةِ، ٦، رَقْمُ ١٧١٦)، مِنْ حَدِيثِ: عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه.

فَهَذَا لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَضَىٰ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، يَعْنِي: الْحَاكِمَ الْقَاضِيَ الَّذِي يَحْكُمُ فِي الْمَسْأَلَةِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ خَطَأً، لَا يَتَبَيَّنُ لَهُ وَجْهُ الصَّوَابِ، فَيَقْضِي فِيهَا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، يَكُونُ حُكْمُهُ مُخَالِفًا لِحُكْمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ هَذَا حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ -يَعْنِي: فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ-؛ فَهَلْ يَدْخُلُ فِي الْوَعِيدِ؟

لَا يَدْخُلُ فِي الْوَعِيدِ، بَلْ إِنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ؛ بَلْ إِذَا كَانَ مُجْتَهِدًا تَمَلَّكَ الْأَدَاةَ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُ، وَعَلَىٰ أَسَاسِهَا يَحْكُمُ فَلَهُ أَجْرٌ؛ وَلَكِنَّهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ.

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَخْطَرِ الْمَسَائِلِ، افْتَرَقَ فِيهَا طُلَّابُ الْعِلْمِ، وَافْتَرَقَتْ طَوَائِفُ أَتْبَاعِ السَّلَفِ، وَانْشَعَبَتِ الطُّرُقُ تَحْتَ أَقْدَامِهَا، وَضَلَّ فِيهَا مَنْ ضَلَّ، وَزَلَّ بِسَبَبِهَا مَنْ زَلَّ، هِيَ أَخْطَرُ الْأُمُورِ الَّتِي عَرَضَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَهِيَ أَخْطَرُ الْمَسَائِلِ الَّتِي تُجَابِهُ الْأُمَّةَ إِلَىٰ يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ، وَمَا تَرَتَّبَ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنَ الْآثَارِ وَالنَّتَائِجِ، وَالْأَحْكَامِ، وَالْقِتَالِ، وَالْخُرُوجِ، وَنَزِيفِ الدِّمَاءِ، وَمَا أَشْبَهَ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ مَعْلُومَةٌ؛ فَيَنْبَغِي عَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ الَّذِي يَتَأَسَّىٰ خُطَىٰ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُحْكِمَهُ إِحْكَامًا صَحِيحًا، وَأَنْ يَصْدُرَ فِيهَا عَمَّا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَمِمَّا كَانَ عَلَيْهِ الْأَصْحَابُ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْمَعْنَىٰ الصَّحِيحِ، لَا بِالْمَعْنَىٰ الْمُسْتَعَارِ. هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ: «فَنَقُولُ: مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ اسْتِخْفَافًا بِهِ، أَوِ احْتِقَارًا لَهُ، أَوِ اعْتِقَادًا أَنَّ غَيْرَهُ أَصْلَحُ مِنْهُ، وَأَنْفَعُ لِلْخَلْقِ، أَوْ مِثْلُهُ؛ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرًا مُخْرِجًا عَنِ الْمِلَّةِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَضَعُونَ لِلنَّاسِ

تَشْرِيعَاتٍ تُخَالِفُ التَّشْرِيعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ؛ لِتَكُونَ مِنْهَاجًا يَسِيرُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَضَعُوا تِلْكَ التَّشْرِيعَاتِ الْمُخَالِفَةَ لِلشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا أَصْلَحُ وَأَنْفَعُ لِلْخَلْقِ؛ إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْجِبِلَّةِ الْفِطْرِيَّةِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْدِلُ عَنْ مِنْهَاجٍ إِلَىٰ مِنْهَاجٍ يُخَالِفُهُ إِلَّا وَهُوَ يَعْتَقِدُ فَضْلَ مَا عَدَلَ إِلَيْهِ، وَنَقْصَ مَا عَدَلَ عَنْهُ.

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَهُوَ لَمْ يَسْتَخِفَّ بِهِ، وَلَمْ يَحْتَقِرْهُ، وَلَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّ غَيْرَهُ أَصْلَحُ مِنْهُ لِنَفْسِهِ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ؛ فَهَذَا ظَالِمٌ؛ وَلَيْسَ بِكَافِرٍ، وَتَخْتَلِفُ مَرَاتِبُ ظُلْمِهِ بِحَسَبِ الْمَحْكُومِ بِهِ، وَوَسَائِلِ الْحُكْمِ.

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ لَا اسْتِخْفَافًا بِحُكْمِ اللهِ، وَلَا احْتِقَارًا، وَلَا اعْتِقَادًا أَنَّ غَيْرَهُ أَصْلَحُ وَأَنْفَعُ لِلْخَلْقِ، أَوْ مِثْلُهُ، وَإِنَّمَا حَكَمَ بِغَيْرِهِ مُحَابَاةً لِلْمَحْكُومِ لَهُ، أَوْ مُرَاعَاةً لِرِشْوَةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؛ فَهَذَا فَاسِقٌ، وَلَيْسَ بِكَافِرٍ، وَتَخْتَلِفُ مَرَاتِبُ فِسْقِهِ بِحَسَبِ الْمَحْكُومِ بِهِ، وَوَسَائِلِ الْحُكْمِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِيمَنِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ أَنَّهُمْ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ[1]:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ بَدَّلُوا دِينَ اللهِ، فَيَتْبَعُونَهُمْ عَلَىٰ التَّبْدِيلِ، وَيَعْتَقِدُونَ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَتَحْرِيمَ مَا أَحَلَّ اللهُ؛ اتِّبَاعًا لِرُؤَسَائِهِمْ، مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ خَالَفُوا دِينَ الرُّسُلِ؛ فَهَذَا كُفْرٌ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ شِرْكًا.

---

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» (٧/ ٧٠).

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ اعْتِقَادُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ بِتَحْلِيلِ الْحَرَامِ وَتَحْرِيمِ الْحَلَالِ ثَابِتًا؛ لَكِنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُسْلِمُ مَا يَفْعَلُهُ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مَعَاصٍ؛ فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حُكْمُ أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ».

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ -أَعْنِي: مَسْأَلَةَ الْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ- مِنَ الْمَسَائِلِ الْكُبْرَىٰ الَّتِي ابْتُلِيَ بِهَا حُكَّامُ هَذَا الزَّمَانِ؛ فَعَلَىٰ الْمَرْءِ أَلَّا يَتَسَرَّعَ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا يَسْتَحِقُّونَهُ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ؛ لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ خَطِيرَةٌ، نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُصْلِحَ لِلْمُسْلِمِينَ وُلَاةَ أُمُورِهِمْ وَبِطَانَتَهُم.

كَمَا أَنَّ عَلَىٰ الْمَرْءِ الَّذِي آتَاهُ اللهُ الْعِلْمَ أَنْ يُبَيِّنَهُ لِهَؤُلَاءِ الْحُكَّامِ؛ لِتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، وَتَتَبَيَّنَ الْمَحَجَّةُ، فَيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلَا يَحْقِرَنَّ نَفْسَهُ عَنْ بَيَانِهِ، وَلَا يَهَابَنَّ أَحَدًا فِيهِ؛ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ.

يَصْعَدُ بَعْضُ النَّاسِ الْمِنْبَرَ، وَيُكَفِّرُ الْحَاكِمَ، فَتَقُولُ لَهُ: يَا أَخِي! لَعَلَّهُ لَا يَعْلَمُ، وَلَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، يَقُولُ: لَا، هُوَ يَعْلَمُ!!

مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّهُ يَعْلَمُ؟!!

يَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ يَعْلَمُ!!

سُبْحَانَ اللهِ!

يَعْنِي: هَلْ أَقَامَ أَحَدٌ الْحُجَّةَ الْإِلَهِيَّةَ الرَّبَّانِيَّةَ النَّبَوِيَّةَ الرَّسُولِيَّةَ، لَا الْحُجَّةَ الَّتِي تَزْعُمُهَا أَنْتَ؟!!

يَعْنِي: قَدْ يَقُولُ إِنْسَانٌ قَوْلًا، وَيَقُولُ: قَدْ أَقَمْتُ بِهِ الْحُجَّةَ، وَيَكُونُ الْقَوْلُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ بَاطِلًا، أَوْ يَكُونُ غَيْرَ وَاضِحٍ، أَوْ لَا يَصِلُ إِلَىٰ الْمَحْجُوجِ الَّذِي تُقَامُ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ.

بَعْضُهُمْ يَكْتُبُ فِي جَرِيدَةٍ مِنَ الْجَرَائِدِ السَّيَّارَةِ، وَيَقُولُ: أَقَمْتُ بِذَلِكَ الْحُجَّةَ!!

هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ.

تَوَفُّرُ الشُّرُوطِ، انْتِفَاءُ الْمَوَانِعِ، إِقَامَةُ الْحُجَّةِ، وَالْحُجَّةُ بِشُرُوطِهَا؛ هَذَا أَمْرٌ كَبِيرٌ.

التَّفْصِيلُ فِي مَسْأَلَةِ التَّكْفِيرِ لِمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَبِهِ افْتَرَقَتِ الْأُمَّةُ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ إِلَىٰ هَذِهِ الشُّعَبِ، الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ رَايَةِ السَّلَفِ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ السُّبُلُ بِسَبَبِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، الَّذِي لَا يُفَصِّلُ يُكَفِّرُ قولًا وَاحِدًا، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ التَّكْفِيرِ مَا يَتَرَتَّبُ مِنَ الْخُرُوجِ، وَالتَّنْظِيمِ، وَإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ، وَاسْتِحْلَالِ الْأَبْدَانِ بِالدِّمَاءِ، وَاسْتِحْلَالِ نَهْبِ الْأَمْوَالِ، وَسَلْبِ الثَّرْوَاتِ، وَالْحَرْبِ الْمُقَدَّسَةِ؛ تَقَدَّمُوا يَا رِجَالُ!!

يَقُولُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ: تَقَدَّمُوا يَا رِجَالُ، اللهُ أَكْبَرُ!!

وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ إِنَّمَا وَجَدُوا مِيرَاثًا وَرِثُوهُ، وَقَدْ يَكُونُونَ مِنَ الْجَهْلِ بِدِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ بِهِ بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَدُلَّهُمْ مَنْ عِنْدَهُمْ وَلَا حَوْلَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَثِقُونَ فِيهِمْ؛ لَمْ يَدُلُّوهُمْ عَلَىٰ خُطُورَةِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

هَذِهِ مَسْأَلَةٌ مِنَ الْمَسَائِلِ الْخَطِيرَةِ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَارِعَ فِيهَا الْإِنْسَانُ إِلَىٰ الْحُكْمِ، هَذَا لَا يَجُوزُ؛ وَإِلَّا وَقَعَ فِي التَّكْفِيرِ، وَكَفَّرَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَهَذَا لَا

يَجُوزُ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ هَذَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ؛ لِأَنَّهُمْ عِنْدَمَا يُكَفِّرُونَ الْحُكَّامَ يُسْقِطُونَ الْوِلَايَةَ الشَّرْعِيَّةَ، إِذَا كَفَرَ سَقَطَتْ وِلَايَتُهُ، لَا يُطَاعُ، لَيْسَتْ لَهُ طَاعَةٌ؛ وَحِينَئِذٍ تَبْدَأُ الْجَمَاعَاتُ فِي الْعَمَلِ وَالتَّشْكِيلَاتِ وَالتَّنْظِيمَاتِ السِّرِّيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَالَّتِي تَبْتَغِي الْخُرُوجَ فِي النِّهَايَةِ خُرُوجًا مُسَلَّحًا مِنْ أَجْلِ إِزَاحَةِ مَنْ كَفَرَ، وَإِقَامَةِ الْحُكْمِ -بِزَعْمِهِمْ-.

وَلَمْ يَحْدُثْ ذَلِكَ كَمَا رَأَيْتَ فِي الْجَزَائِرِ، وَلَا فِي فِلَسْطِينَ؛ بَلْ غَزَّةَ كَمَا تَرَىٰ.. وَسَنَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَىٰ كَرَاسِيِّ الْحُكْمِ قِيلَ لَهُمُ: احْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ.

قَالُوا: لَا نَسْتَطِيعُ الْآنَ!! وَأَتَوْا بِبَعْضِ الْكُفَّارِ، جَعَلُوهُمْ مَعَهُمْ فِي الْوَزَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَبَعْضِ النِّسْوَةِ مِنَ السَّافِرَاتِ الْعَلْمَانِيَّاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا.

إِذَنْ؛ الْقَضِيَّةُ قَضِيَّةُ الْكُرْسِيِّ فَقَطْ، لَيْسَتْ قَضِيَّةَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ!!(*).

وَقَدْ سُئِلَتِ اللَّجْنَةُ الدَّائِمَةُ فِي فَتْوَىٰ (رَقْم ٥٧٤١)، فِي الْإِجَابَةِ عَلَىٰ السُّؤَالِ الْحَادِيَ عَشَرَ، وَنَصُّهَا كَالْآتِي: «**السُّؤَالُ**: مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ؛ هَلْ هُوَ مُسْلِمٌ، أَوْ كَافِرٌ كُفْرًا أَكْبَرَ؟

الْجَوَابُ: الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِهِ، وَآلِهِ، وَصَحْبِهِ، وَبَعْدُ:

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ) - السَّبْتُ ١٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ٢٣-٢-٢٠٠٨م.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

لَكِنْ إِنِ اسْتَحَلَّ ذَلِكَ وَاعْتَقَدَهُ جَائِزًا فَهُوَ كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَظُلْمٌ أَكْبَرُ، وَفِسْقٌ أَكْبَرُ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، أَمَّا إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الرِّشْوَةِ، أَوْ لِمَقْصِدٍ آخَرَ وَهُوَ يَعْتَقِدُ تَحْرِيمَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ آثِمٌ، يُعْتَبَرُ كَافِرًا كُفْرًا أَصْغَرَ، وَظَالِمًا ظُلْمًا أَصْغَرَ، وَفَاسِقًا فِسْقًا أَصْغَرَ لَا يُخْرِجُهُ مِنَ الْمِلَّةِ، كَمَا أَوْضَحَ ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ.

عَبْدُ اللهِ بْنُ غُدَيَّان، وَعَبْدُ الرَّزَّاق عَفِيفِي، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَاز».

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فَلَا يَخْرُجُ عَنْ أَرْبَعَةِ أُمُورٍ:

* **مَنْ قَالَ:** أَنَا أَحْكُمُ بِهَذَا لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرًا أَكْبَرَ.

* **وَمَنْ قَالَ:** أَنَا أَحْكُمُ بِهَذَا لِأَنَّهُ مِثْلُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْحُكْمُ بِهَذَا جَائِزٌ، وَبِالشَّرِيعَةِ جَائِزٌ؛ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرًا أَكْبَرَ.

* **مَنْ قالَ**: أَنَا أَحْكُمُ بِهَذَا، وَالْحُكْمُ بِالشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَفْضَلُ؛ لَكِنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ جَائِزٌ؛ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرًا أَكْبَرَ.

* وَمَنْ قَالَ: أَنَا أَحْكُمُ بِهَذَا، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَا يَجُوزُ، وَيَقُولُ: الْحُكْمُ بِالشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَفْضَلُ، وَلَا يَجُوزُ الْحُكْمُ بِغَيْرِهَا؛ وَلَكِنَّهُ مُتَسَاهِلٌ، أَوْ يَفْعَلُ هَذَا لِأَمْرٍ صَادِرٍ مِنْ حُكَّامِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرًا أَصْغَرَ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَيُعْتَبَرُ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ».

وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ قَاتَلَ التَّتَارَ تَحْتَ رَايَةِ الْمَمَالِيكِ فِي عَصْرِهِ، وَكَانُوا مُمَكَّنِينَ، لَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَثَرِ الْقُوَىٰ الْعُظْمَىٰ فِي الْعَالَمِ يَوْمَئِذٍ مَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ تَمَامِ التَّطْبِيقِ لِشَرْعِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَوَقَعَتْ أُمُورٌ، كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ التَّبْدِيلَ وَالتَّغْيِيرَ.. إِنَّ الْحُيُودَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِنَّمَا هُوَ قَدِيمٌ، مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ جَدَّتْ عَلَىٰ الْأُمَّةِ أُمُورٌ؛ فَمُقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ.

فَقَاتَلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ التَّتَارَ تَحْتَ رَايَةِ الْمَمَالِيكِ، وَلَمْ يُكَفِّرْهُمْ، مَعَ أَنَّ الْقُوَّةَ كَانَتْ فِي أَيْدِيهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ مِنْ مَانِعٍ يَمْنَعُهُمْ مِنْ تَمَامِ التَّطْبِيقِ وَكَمَالِهِ؛ وَلَكِنْ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ ذَلِكَ خَرْطَ الْقَتَادِ -كَمَا يَقُولُونَ-؛ لِأَنَّ أُمُورًا تَجِدُّ، وَلِأَنَّ أَحْوَالًا لَا تَسْتَقِرُّ، وَلِأَنَّ الْجَهْلَ غَالِبٌ عَلَىٰ الْخَلْقِ، فَاشٍ فِيهِمْ، فَكَانَ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لِتَمَامِ فِقْهِهِ رَحِمَهُ اللهُ.

سُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ أَيْضًا -أَعْنِي: الْمُفْتِيَ السَّابِقَ لِلْمَمْلَكَةِ-: «مَا حُكْمُ سَنِّ الْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ؟ وَهَلْ يَجُوزُ الْعَمَلُ بِهَا؟ وَهَلْ يَكْفُرُ الْحَاكِمُ بِسَنِّهِ لِهَذِهِ الْقَوَانِينِ؟

الْجَوَابُ: إِذَا كَانَ الْقَانُونُ يُوَافِقُ الشَّرْعَ فَلَا بَأْسَ، إِذَا سَنَّ قَانُونًا فِي شَأْنِ الطُّرُقَاتِ، فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ وَلَيْسَ فِيهَا مُخَالَفَةٌ لِلشَّرْعِ، وَلَكِنْ لِتَنْفِيذِ الْأُمُورِ فَلَا بَأْسَ بِهَا.

أَمَّا الْقَوَانِينُ الَّتِي تُخَالِفُ الشَّرْعَ فَلَا، إِذَا سَنَّ قَانُونًا مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا حَدَّ عَلَىٰ الزَّانِي، وَلَا حَدَّ عَلَىٰ السَّارِقِ، وَلَا حَدَّ عَلَىٰ شَارِبِ الْخَمْرِ؛ فَهَذَا بَاطِلٌ، وَهَذِهِ الْقَوَانِينُ بَاطِلَةٌ، وَإِذَا اسْتَحَلَّهَا الْوَالِي كَفَرَ، إِذَا قَالَ: إِنَّهَا حَلَالٌ وَلَا بَأْسَ بِهَا؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ كُفْرًا -أَيْ: هَذَا الِاسْتِحْلَالُ يَكُونُ كُفْرًا-، مَنِ اسْتَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللهُ كَفَرَ».

وَسُئِلَ -أَيْضًا-: «هَلْ يُعْتَبَرُ الْحُكَّامُ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ كُفَّارًا؟ وَإِذَا قُلْنَا: إِنَّهُمْ مُسْلِمُونَ؛ فَمَاذَا نَقُولُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]؟

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: الْحُكَّامُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ أَقْسَامٌ، تَخْتَلِفُ أَحْكَامُهُمْ بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ؛ فَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، يَرَىٰ أَنَّ ذَلِكَ أَحْسَنُ مِنْ شَرْعِ اللهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَكَذَا مَنْ يُحَكِّمُ الْقَوَانِينَ الْوَضْعِيَّةَ بَدَلًا مِنْ شَرْعِ اللهِ، وَيَرَىٰ أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ؛ وَلَوْ قَالَ: إِنَّ تَحْكِيمَ الشَّرِيعَةِ أَفْضَلُ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِكَوْنِهِ اسْتَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللهُ.

أَمَّا مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ اتِّبَاعًا لِلْهَوَىٰ، أَوْ لِرِشْوَةٍ، أَوْ لِعَدَاوَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ، أَوْ لِأَسْبَابٍ أُخْرَىٰ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عَاصٍ للهِ بِذَلِكَ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ تَحْكِيمُ شَرْعِ اللهِ؛ فَهَذَا يُعْتَبَرُ مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، وَيُعْتَبَرُ قَدْ أَتَىٰ كُفْرًا أَصْغَرَ، وَظُلْمًا أَصْغَرَ، وَفِسْقًا أَصْغَرَ، كَمَا جَاءَ هَذَا الْمَعْنَىٰ عَنِ ابْنِ

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَعَنْ طَاوُوسَ، وَجَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَاللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ».

وَسُئِلَ -أَيْضًا-: «كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَسَاهَلُونَ فِي الْحُكْمِ بِغَيْرِ شَرِيعَةِ اللهِ، وَالْبَعْضُ يَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ التَّسَاهُلَ لَا يُؤَثِّرُ فِي تَمَسُّكِهِ بِالْإِسْلَامِ، وَالْبَعْضُ الْآخَرُ يَسْتَحِلُّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَلَا يُبَالِي بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ فَمَا هُوَ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ؟

الْجَوَابُ: هَذَا فِيهِ تَفْصِيلٌ؛ وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَأَنَّهُ خَالَفَ الشَّرْعَ؛ وَلَكِنِ اسْتَبَاحَ هَذَا الْأَمْرَ، وَرَأَىٰ أَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ بِغَيْرِ شَرِيعَةِ اللهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرًا أَكْبَرَ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ؛ كَالْحُكْمِ بِالْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجُوزُ الْحُكْمُ بِهَا، أَوْ زَعَمَ أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ حُكْمِ اللهِ، أَوْ زَعَمَ أَنَّهَا تُسَاوِي حُكْمَ اللهِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مُخَيَّرٌ، إِنْ شَاءَ حَكَمَ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنْ شَاءَ حَكَمَ بِغَيْرِهِمَا؛ مَنِ اعْتَقَدَ هَذَا كَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ -كَمَا تَقَدَّمَ-.

أَمَّا مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ لِهَوًى، أَوْ لِحَظٍّ عَاجِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عَاصٍ للهِ وَلِرَسُولِهِ، وَأَنَّهُ فَعَلَ مُنْكَرًا عَظِيمًا، وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ الْحُكْمُ بِشَرْعِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِذَلِكَ الْكُفْرَ الْأَكْبَرَ؛ لَكِنَّهُ قَدْ أَتَىٰ مُنْكَرًا عَظِيمًا وَمَعْصِيَةً كَبِيرَةً وَكُفْرًا أَصْغَرَ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَدِ ارْتَكَبَ بِذَلِكَ

كُفرًا دُونَ كُفْرٍ، وَظُلْمًا دُونَ ظُلْمٍ، وَفِسْقًا دُونَ فِسْقٍ، وَلَيْسَ هُوَ الْكُفْرَ الْأَكْبَرَ، وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ».

وَقَدْ يَحُولُ دُونَ التَّطْبِيقِ حَائِلٌ حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِالْخَيْرِ، فَيَأْتِي الْأَمْرُ تَدْرِيجِيًّا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.

سُئِلَ الشَّيْخُ -أَيْضًا- رَحِمَهُ اللهُ: «عَنْ تَبْدِيلِ الْقَوَانِينِ، وَهَلْ يُعْتَبَرُ كُفْرًا مُخْرِجًا مِنَ الْمِلَّةِ؟

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: إِذَا اسْتَبَاحَهَا يُعْتَبَرُ كَافِرًا كُفْرًا أَكْبَرَ، أَمَّا إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَسْبَابٍ خَاصَّةٍ؛ مِنْ أَجْلِ الرِّشْوَةِ، أَوْ مِنْ أَجْلِ إِرْضَاءِ أَشْخَاصٍ وَيَعْلَمُ أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ؛ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بِذَلِكَ كُفْرًا دُونَ كُفْرٍ -يَعْنِي- لَا يَخْرُجُ بِذَلِكَ مِنَ الْمِلَّةِ-.

إِذَا فَعَلَهَا مُسْتَبِيحًا؛ يَكُونُ كُفْرًا أَكْبَرَ، أَيْ: إِذَا اسْتَحَلَّ الْحُكْمَ بِتِلْكَ الْقَوَانِينِ بِغَيْرِ الشَّرِيعَةِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا، أَمَّا إِذَا فَعَلَهَا لِأَسْبَابٍ؛ كَالرِّشْوَةِ، أَوِ الْعَدَاوَةِ، أَوْ مِنْ أَجْلِ إِرْضَاءِ بَعْضِ النَّاسِ، أَوْ لِمَا يَتَعَرَّضُ لَهُ مِمَّا لَا يُطِيقُهُ مِنْ دَاخِلٍ وَخَارِجٍ، فَهُوَ يَتَلَمَّسُ السُّبُلَ مِنْ أَجْلِ الْوُصُولِ إِلَىٰ الْجَادَّةِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ -حِينَئِذٍ- كَافِرًا.

إِذَا اسْتَحَلَّ الْحُكْمَ بِقَانُونٍ بِغَيْرِ الشَّرِيعَةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا، أَمَّا إِذَا فَعَلَهَا لِأَسْبَابٍ؛ كَالرِّشْوَةِ، أَوِ الْعَدَاوَةِ، أَوْ مِنْ أَجْلِ إِرْضَاءِ بَعْضِ النَّاسِ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ كُفْرًا دُونَ كُفْرٍ، وَهَذَا الْحُكْمُ يَشْمَلُ جَمِيعَ الصُّوَرِ؛ سَوَاءٌ التَّبْدِيلُ وَغَيْرُ التَّبْدِيلِ.

وَيَجِبُ عَلَىٰ وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يَمْنَعَ ذَلِكَ، وَأَنْ يَحْكُمَ بِشَرْعِ اللهِ جَلَّوَعَلَا مَا أَمْكَنَهُ».

فَدَعْكَ مِنْ كَلَامِ الْخَوَارِجِ الْمُعَاصِرِينَ، وَدَعْكَ مِنْ كَلَامِ الْخَوَارِجِ الْمُتَقَدِّمِينَ، أَلْقِ بِهِ إِلَىٰ حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أَمُّ قَشْعَمٍ، وَأَقْبِلْ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمَبْنِيِّ عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وَصَلَّىٰ اللَّـهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «جَمَاعَاتُ التَّكْفِيرِ وَالْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ» - الْجُمُعَةُ ١١ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٦هـ| ٢-١-٢٠١٥م.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

الدَّلِيلُ عَلَى الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانِ بِاللهِ

فَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانِ بِاللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَهَذَا مَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَفِي الْحَدِيثِ: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي (الْإِيمَانِ، ٨: ١، رَقْمُ ٢٦١٦)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي (الْفِتَنِ، ١٢: ٧، رَقْمُ ٣٩٧٣)، مِنْ حَدِيثِ: مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٤١٣).

مَعْنَىٰ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ: أَنْ تَعْتَقِدَ بُطْلَانَ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، وَتَتْرُكَهَا، وَتُبْغِضَهَا، وَتُكَفِّرَ أَهْلَهَا، وَتُعَادِيَهُمْ إِذَا رَجَعْتَ إِلَىٰ الْمَعْطُوفِ الْأَوَّلِ.

مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ: أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- هُوَ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتُخْلِصَ لَهُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَتَنْفِيَهَا عَنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ، وَتُحِبَّ أَهْلَ الْإِخْلَاصِ، وَتُوَالِيَهُمْ، وَتُبْغِضَ أَهْلَ الشِّرْكِ، وَتُعَادِيَهُمْ، هَذَا مَعْنَىٰ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانِ بِاللهِ.

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾: لَا إِكْرَاهَ عَلَىٰ الدِّينِ؛ لِظُهُورِ أَدِلَّتِهِ وَبَيَانِهَا وَوُضُوحِهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾: فَإِذَا تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَإِنَّ كُلَّ نَفْسٍ سَلِيمَةٍ لَا بُدَّ أَنْ تَخْتَارَ الرُّشْدَ عَلَىٰ الْغَيِّ -الْغَيُّ: الضَّلَالُ الْمُفْضِي إِلَىٰ الشَّقَاءِ وَالْخُسْرَانِ-.

فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَقْوَالٌ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾:

الْأَوَّلُ: أَنَّ أَحَدًا لَا يُكْرِهُ أَحَدًا عَلَىٰ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَنُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ لِأَجْلِ نَشْرِ الْإِسْلَامِ، وَقَمْعِ أَعْدَاءِ اللهِ، وَالْهِدَايَةُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ.

الثَّانِي مِنَ الْأَقْوَالِ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يُجْبَرُونَ عَلَىٰ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنْ أَرَادُوا الْبَقَاءَ عَلَىٰ دِينِهِمْ مُكِّنُوا مِنَ الْبَقَاءِ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ بِشَرْطِ أَنْ يَدْفَعُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ.

الثَّالِثُ مِنَ الْأَقْوَالِ: أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ.

وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ، وَالْآيَةُ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، وَالدِّينُ لَا يَدْخُلُ فِي الْقُلُوبِ بِالْإِكْرَاهِ، وَهَذَا مَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ: الْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانُ بِاللهِ، وَهُوَ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: بَدَأَ اللهُ ﷻ بِالْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ قَبْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ؛ لِأَنَّ مِنْ كَمَالِ الشَّيْءِ إِزَالَةَ الْمَوَانِعِ قَبْلَ وُجُودِ الثَّوَابِتِ؛ وَلِهَذَا يُقَالُ: التَّخْلِيَةُ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ.

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أَيْ: تَمَسَّكْ بِهَا تَمَسُّكًا تَامًّا، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَىٰ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَتَأَمَّلْ كَيْفَ قَالَ ﷻ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (تَمَسَّكَ)؛ لِأَنَّ الِاسْتِمْسَاكَ أَقْوَىٰ مِنَ التَّمَسُّكِ.

وَقَالَ ﷺ: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١).

إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ رَأْسًا؛ فَرَأْسُ الْأَمْرِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ الْإِسْلَامُ، «**وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ**»؛ لِأَنَّهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِهَا، «**وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» أَيْ: أَعْلَاهُ وَأَكْمَلُهُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصْلَحَ نَفْسَهُ حَاوَلَ إِصْلَاحَ غَيْرِهِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ لِيَقُومَ الْإِسْلَامُ، وَلِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَمَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَصَارَ ذِرْوَةَ السَّنَامِ؛ لِأَنَّ بِهِ عُلُوَّ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ غَيْرِهِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ لِلدِّينِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: الرَّأْسَ، وَالْعَمُودَ، وَالسَّنَامَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ؛ فَبِعَدَمِ الرَّأْسِ لَا وُجُودَ لِلدِّينِ أَصْلًا، فَالَّذِي يُحَقِّقُ الرَّأْسَ وَهُوَ التَّوْحِيدُ- يُحَقِّقُ الْإِسْلَامَ، وَالَّذِي لَا يُحَقِّقُ الرَّأْسَ -وَهُوَ التَّوْحِيدُ- لَا دِينَ لَهُ أَصْلًا، إِنَّهُ لَا بَدَنَ بِغَيْرِ رَأْسٍ، فَرَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ حَقَّقَ الْإِسْلَامَ.

وَعَمُودُ الْأَمْرِ الصَّلَاةُ، الَّذِي لَا يُصَلِّي لَا يَقُومُ لَهُ دِينٌ، الْعَمُودُ فِي الْفُسْطَاطِ.. فِي الْخَيْمَةِ تَقُومُ عَلَيْهِ الْخَيْمَةُ، ثُمَّ تُشَدُّ بِأَطْنَابٍ إِلَىٰ أَوْتَادِهَا حَوَالَيْهَا، الَّذِي لَا يُصَلِّي لَا يَقُومُ لَهُ دِينٌ، فَالْعَمُودُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ الدِّينُ الصَّلَاةُ.

ذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، جَعَلَ لَهُ سَنَامًا كَمَا جَعَلَ لَهُ رَأْسًا وَعَمُودًا، إِذَا فُقِدَ الْجِهَادُ فُقِدَتْ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ، فَصَارُوا مُسْتَضْعَفِينَ؛ كَالْبَعِيرِ الْمَهْزُولِ الَّذِي لَا سَنَامَ لَهُ، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ.(*).

تَعَلَّمْ عَقِيدَتَكَ وَحَقِّقْهَا أَوَّلًا

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! لَا بُدَّ أَنْ نَتَعَلَّمَ التَّوْحِيدَ، لَا بُدَّ أَنْ نَتَعَلَّمَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ؛ لِمَاذَا؟

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِن: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ) - السَّبْتُ ١٦ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ٢٣-٢-٢٠٠٨م.

لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَقِيَ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا، وَالصَّلَاةُ لَمْ تُفْرَضْ إِلَّا فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ عَلَىٰ النَّحْوِ الْمَفْرُوضِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَذَانٌ فِي مَكَّةَ، وَلَا جَمَاعَةٌ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ قِتَالٌ، بَلْ كَانُوا مَأْمُورِينَ بِكَفِّ الْأَيْدِي، الصِّيَامُ لَمْ يُفْرَضْ -صِيَامُ رَمَضَانَ- إِلَّا بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَأَمَّا الزَّكَاةُ عَلَىٰ النَّحْوِ الْمَعْرُوفِ فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ؛ فَمَا كَانُوا يَمْلِكُونَ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا؛ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، وَكَانُوا يُنْفِقُونَ عَلَىٰ إِخْوَانِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ.

إِذَنْ؛ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَلَمْ يُفْرَضْ فِي مَكَّةَ حَجٌّ، وَلَا صَوْمٌ، وَلَا قِتَالٌ، وَالصَّلَاةُ تَأَخَّرَتْ إِلَىٰ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَذَانٌ، وَلَا إِقَامَةٌ، وَلَا جَمَاعَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَخْفُونَ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَكُلُّ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ طَبَقَاتِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ هَذِهِ الطَّبَقَةِ الْأُولَىٰ الْمُتَمَيِّزَةِ هِيَ تَحْتَهَا وَدُونَهَا؛ لِأَنَّهُمْ حَقَّقُوا التَّوْحِيدَ.

مَاذَا كَانَ يُعَلِّمُهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟

يُعَلِّمُهُمْ عِبَادَةَ الرَّبِّ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِوَجْهِهِ، هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْكَبِيرُ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ بَقِيَ فِي مَكَّةَ مَا بَقِيَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الْأَصْلَ الْكَبِيرَ، وَهُوَ أَصْلُ الْأُصُولِ؛ تَوْحِيدُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَأَيُّ بَدْءٍ فِي مَعْرِفَةِ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَكُونُ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ النُّقْطَةِ هُوَ سَيْرٌ عَلَىٰ غَيْرِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ.

حَقِّقْ عَقِيدَتَكَ أَوَّلًا؛ حَتَّىٰ تَعْرِفَ رَبَّكَ، وَتَعْرِفَ دِينَكَ، وَتَعْرِفَ عَقِيدَتَكَ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَلِّمَنَا عَقِيدَتَنَا وَدِينَنَا، وَأَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا، وَأَنْ يَرْحَمَنَا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا صِيَامَنَا وَقِيَامَنَا؛ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «أَهَمِّيَّةُ الْعَقِيدَةِ» - الْأَحَدُ ٧ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢هـ| ٧-٨-٢٠١١م.

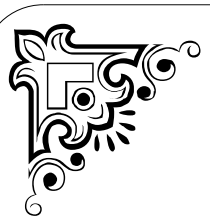

الْفِهْرِسُ

الْخُطْبَةُ الْأُولَىٰ: مَسَائِلُ مُهِمَّةٌ فِي التَّوْحِيدِ ٣

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ﷻ ٢٩

الْخُطْبَةُ الثَّالِثَةُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ: مَرْتَبَةُ الْإِسْلَامِ ٦٣

الْخُطْبَةُ الرَّابِعَةُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ: الْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ ٨٣

الْخُطْبَةُ الْخَامِسَةُ: الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ ١٢٩

الْخُطْبَةُ السَّادِسَةُ: اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ! ١٦٩